

الوحدة

ثورة .. ومسؤولية

منشورات : حركة القوميين العرب / مكتب الارتباط /

حقوق النشر محفوظة

الطبعة الثانية : ٢٠٠٥

تقديم:

يختلف المفهوم النظري للوحدة العربية الذي كان سائداً في الخمسينات والستينات من القرن العشرين عما هو مطروح اليوم في متناول الدراسات ، ولدى الباحثين والمفكرين العرب . فالوحدة على أهميتها فإنها ترسخ الوعي القومي العربي في إدراك العديد من القضايا العربية على كافة الأصعدة والمشارب إن كان ذلك اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو تحريراً فالوحدة ركيزة أساسية من ركائز التحرر الوطني والإنساني .

لا نسعى في هذا التقديم لكتاب (الوحدة العربية ثورة ومسؤولية) الذي صدر عن منشورات حركة القوميين العرب عام ١٩٥٩ إلى تعداد أهمية وضرورة الوحدة لأن هذا من جوهر العمل الفكري ، وإنما للتذكير ببعض الأطروحات التي تقوم على منهج علمي وجدلي ، ولا نريد أن نقارب بين المفهوم التقليدي للوحدة وبين المفهوم الحداثي . فقط نود الإشارة إلى أن مشروع الوحدة العربية يبقى مطروحاً وضرورياً كلما اشتدت أزمت هذه المنطقة العربية وتعرض الشعب العربي إلى المزيد من الكوارث والنكبات والحروب والشدائد فما يحصل اليوم في العراق وما يحصل في فلسطين وما يحدث في السودان والعديد من الدول العربية التي تنشب على أرضها الحروب والنزاعات لهو مثال على ذلك كي نصرخ مجدداً ونرفع الصوت من أجل الحفاظ على وحدة الوطن العربي من التجزئة والتقسيم وما يطرح من فيدراليات وما يتهدد البلدان العربية بمزيد من التقسيم في إطار المشاريع الامبريالية التي تقودها العولمة المتوحشة والتي تخطط لها إدارات الدول الأورو أمريكية ليتم عبر عقليتها الاستعمارية تكريس نموذج صارخ من التقهقر والتجزئة للوطن العربي إلى كيانات للعبور إلى مفهوم الشرق الأوسط الكبير .

وهذا المشروع يرمي إلى تحقيق الطموح الصهيوني الذي عجزت إسرائيل طيلة أكثر من قرن من الصراع على تكريسه ، اليوم تحاول الامبريالية الأمريكية بنموذجها الجديد تحقيق ما عجزت عن تحقيقه الحروب الصهيونية في المنطقة.

إننا نذكر بضرورة إقامة مشروع الوحدة العربية وفق منظور حديث ، جديد يختلف عن المفاهيم القديمة السائدة في الخمسينات على أهميتها وتبقى تلك المفاهيم هي نواة رائعة بحق، يمكن إن تؤسس توجهها نحو بناء الوحدة العربية البناء التوجه . إننا نسعى في هذه المقدمة إلى اعتبار الديمقراطية عاملاً هاماً في تحقيق الوحدة ومقدمة أساسية من مقدمات الدخول إلى الوحدة على أسس سليمة هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية حتى لو تم الأخذ بتطبيق مفهوم الوحدة تدريجياً بحده الأدنى بداية عبر البوابات الاقتصادية على طريق تحقيق الوحدة الاندماجية ولدينا هنا المفهوم الأوروبي أكثر حضوراً للوحدة الأوروبية على سبيل المثال في الانتقال من السوق الأوروبية المشتركة إلى دول الاتحاد الأوروبي التي سعت إلى تشكيل دستور موحد لأوروبا موحدة وإلى عملة موحدة ، ونحن نطمح إلى إنشاء السوق العربية المشتركة وفق المصالح والظروف الاقتصادية العربية كخطوة أولى ، أو إحداث وحدات سياسية إقليمية عربية على نمط الاتحاد المغاربي واتحاد دول الخليج العربي والشرق العربي.

إن الوعي القومي العربي لمشروع الوحدة العربية قد تطور عن السابق ، ولكن ثمة عوائق لتطبيقات مفهوم الوحدة و هي كثيرة لا تنتهي بما تعمل على ترسيخه الدوائر وفق مخططات صهيونية إنما تهدف إلى إبقاء الكيان الصهيوني صاحب القوة والسيطرة والهيمنة على المنطقة .

إن نموذج الوحدة الذي أقامته مصر عبد الناصر إثر قيام الجمهورية العربية المتحدة النواة الأولى للوحدة العربية يبقى حاضراً في الذاكرة العربية فقد أدخلت هذه الخطوة تعديلات أساسية جوهرية في بنية النظام العربي الفكرية والسياسية ، وعمقت من مفهوم قومية المعركة والصراع مع العدو الصهيوني بالعمل للوصول إلى مرحلة جديدة من كفاحنا القومي . اليوم نحن مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالعمل للوصول إلى تحديد علمي واضح لطابع المعركة العربية في مواجهة التحديات والمخاطر التي تهدد الأمة من خلال الدفع بالمزيد من التجزئة وتفتيت المنطقة إلى كيانات طائفية وعرقية ، إن الوحدة هي وجه المستقبل العربي المشرق الساعي إلى إقامة مجتمع عربي موحد ومتحرر وقيام الوحدة كان بمثابة معركة تحررية ضد الأحلاف الأجنبية ومن أجل تدعيم الاستقلال الذي حصلت عليه بعض الدول العربية وكما هو معروف فإن الحرية والاستعمار نقيضان لا يجتمعان . وفي ظل وجود مخاطر الكيان الصهيوني وحليفته الامبراطورية الأمريكية ، إن كان عبر احتلال الأراضي الفلسطينية أو احتلال العراق فإن مقاومة هذا الاحتلال تتطلب إعلاء صوت الوحدة العربية كضمانة لوجود المقاومة العربية واستمرارها حتى دحر المشاريع الصهيونية الأمريكية التي تسعى إلى تجزئة وتفتيت الدول العربية إلى كيانات طائفية ، من أجل الهيمنة على مقدرات الشعوب وثروات الأمة وأهمها النفط ، والهيمنة العسكرية وإبقاء إسرائيل الدولة المتفوقة على محيطها العربي برتمه .

نكتب مقدمة هذه الطبعة الجديدة من كتاب الوحدة من أجل التذكير بأهمية الوحدة في هذه المرحلة الصعبة من حياة أمتنا العربية وفي ظل وجود أصوات عربية تدعي الليبرالية وتسير في الفلك الامبريالي الأمريكي تنادي بالتجزئة والتقسيم تحت مسميات ((الفيدرالية)) وهؤلاء هم عملاء الاحتلال إن كان ذلك في العراق أو في هذا القطر العربي أو ذلك يطلقون سموهم عبر الإعلام المأجور وكان المسألة لا تتعدى حدود الاختلاف في الرأي فهل أصبح مطلب التقسيم والتجزئة وكتابة الدستور لأي بلد عربي تحت الاحتلال وبوجود الدبابات الأمريكية مجرد اجتهاد فكري؟ ربما يقول البعض أنها الخيانة عينها !؟

إن الوحدة العربية هي ضمان بقاء واستمرار الأمة العربية الساعية نحو حريتها واستقلالها وبناء مستقبلها المتقدم وفق المفهوم الحضاري الذي نعتز به على مدار تاريخها بين الأمم .

هذا الكتاب يلقي الضوء مجدداً على مفهوم الوحدة العربية وهذه المفاهيم التأسيسية انطلقت من واقع التهديدات والأخطار التي كانت تعيشها أمتنا ولم تزل حتى يومنا هذا .. وهذه المفاهيم لا تتعارض مع الحداثة والتجديد فهي كما قلنا أسست لمشروع الوحدة . وهذه الأفكار منارة قومية للأجيال المتعاقبة من أجل إعلاء كرامتها وحقوقها العادلة وعيشها الإنساني .

يعتبر هذا الكتاب وثيقة تاريخية بغض النظر أين تنفق و أين نختلف فيما ورد فيه وقيمه مقارنة مع أي وثيقة ظهرت في ظرف محدد وحقبة تاريخية محددة . وجاءت وثائق أخرى للحركة بعد ذلك لتطور مواقفها من الماركسية والشيوعية ، وتحديد معسكر الأصدقاء ومعسكر الأعداء بشكل لا لبس ولا غموض فيه . وفي نفس الوقت بقيت فروع الحركة متمسكة بالثوابت القومية ،

منشورات حركة القوميين العرب

((الوحدة والتحرر والاشتراكية)) رغم كل التطورات والمتغيرات السلبية التي طرأت على الصعيدين العالمي والإقليمي ؟

حركة القوميين العرب

مكتب الارتباط

الوحدة العربية المصغرة

في تاريخ الأمم أحداث ضخمة تكون بمثابة انعطافات عميقة ونقاط تحول حاسمة في تطور هذه الأمم التاريخي وفي التطور البشري الإنساني العام مثل هذه الأحداث الضخمة إن بدت فجائية في ظهورها وتجسدها عملياً إلا أنها تكون دوماً نتيجة مخاض نضالي طويل وترجع في تطورهما إلى حقيقة تضرب جذورها في أعماق التاريخ ودعوة حفرتها الأجيال في ضمير الأمة وامتزجت بكيانها وعقلها ووجدانها.

ضخامة مثل هذه الأحداث، مثل نقاط التحول التاريخية هذه، لا تأتي من كونها أحداثاً سياسية تحدث انقلاباً عميق الأثر في الجانب السياسي من حياة المجتمع فحسب، بل من كونها ترتبط ارتباطاً عضوياً وثيقاً بكل أسس الحياة القومية، ومعالمها، وملامحها، بكونها تعبير عن وجه من وجوه ثورة قومية جذرية تتناول حياة الأمة بكل عمقها وشمولها، ولأن هذه الأحداث بحكم عمق التغييرات القومية التي تتمخض عنها ترتفع إلى مستوى الأحداث الحية الفاعلة في تاريخ الإنسانية. ونحن العرب اليوم نعيش في مرحلة انعطاف قومي تاريخي فكان لا بدّ لحركة النضال العربي، وقد بلغت ذلك المستوى من التطور والنضج من أن تتجسد في تعبير عملي يحتوي في معناه ونتائجه كل مميزات الحدث التاريخي الذي يمثل نقطة انعطاف حاسمة في حياة الأمة العربية، وهكذا فرض الوعي القومي لحقيقة وجودنا وحدة مصر وسوريا وقامت الجمهورية العربية المتحدة نواة أولى لوحدة العرب بعد سنين طويلة من حياة التجزئة والفرقة التفكك والضعف.

هذا الانتصار النضالي القومي الحاسم لم يكن مجرد حدث سياسي عادي، وليس مجرد انتصار نضالي من جملة الانتصارات التي حققتها حركة النضال العربي في السنوات الأخيرة، بل إنه تحول قومي تاريخي في حياة العرب الحديثة، يحدد بدء مرحلة جديدة في معركتنا النضالية اللاهبة، وبدء مرحلة جديدة في تطورنا القومي الشامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي، في إقامة المجتمع العربي الواحد الإنساني المتحرر وبناء المواطن العربي والعقل العربي والنفس العربية. وبالرغم من أن هذا الحدث القومي يعبر لحد بعيد عن الثورة القومية التي تشق طريقها بعزم وصلابة في المجتمع العربي، إلا أنّ هذه الثورة ما كانت أبداً لتتحدد يوماً في نطاق الوطن العربي، فهي بحكم طبيعة تكوينها والمبادئ التي تقوم عليها، لا يمكن إلا أن تتجاوز أرض الوطن لتمتد امتزاجاً فاعلاً بأفاق الإنسانية الرحبية.

وكان من الطبيعي أن تطرأ على المعركة العربية أثر قيام النواة الأولى للوحدة العربية تطورات هامة وتحولات أساسية تتناسب والموضع الذي تحتله الوحدة في معركتنا القومية السياسية والاجتماعية ومع عمق تأثيرها على الخط العام لسير المعركة والقوى التي تتجاذبها. وجاءت الشهور المعدودة التي أعقبت قيام هذه الوحدة الأولية، وحفلت بالأحداث والتطورات الخطيرة التي تلاحقت بسرعة مذهلة، تعطي صورة حية عن معنى هذا الحدث التاريخي والنتائج البعيدة التي تترتب عليه.

لقد أدخلت هذه الخطوة الوحدوية تعديلات أساسية جوهرية على المعركة العربية بكافة ميادينها وجوانبها ففي داخل الوطن أحدثت تبديلات أساسية في وضع الجبهة الاستعمارية الرجعية وإمكاناتها ومخططاتها، وفي وضع الفئات والحركات العاملة ومنطلقاتها وشعاراتها ومواقفها

منشورات حركة القوميين العرب

السياسية ، وفي وضع الجماهير العربية التي دفعتها حركة الوعي المتزايد إلى قلب المعركة واستعداداتها المادية والمعنوية وفي خارج الوطن أ حدثت تأثيراً كبيراً على معركة الصراع الدولي الناشب حول هذه المنطقة من العالم، وكادت التطورات التي أعقبته نتيجة المد الكبير الذي خلفته في حركة النضال العربي أن تدفع العالم لحافة حرب ثالثة. وأنه من العيب أن نستطيع فهم كافة هذه التطورات والتحويلات إلا على ضوء ارتباطها ارتباطاً وثيقاً ملتصقاً إن لم نقبل كلياً بقيام هذه الوحدة العربية المصغرة .

واليوم إذ ندخل مرحلة جديدة من كفاحنا القومي، إنما نحن مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالوصول إلى تحديد علمي واضح لطابع المعركة العربية وخط سيرها أثر قيام الجمهورية العربية المتحدة، وإلى تحليل موضوعي دقيق لشكل تركيب القوى العاملة فيها بعد أن اختلف هذا التركيب اختلافاً بيناً بعد قيام الوحدة وإلى تقدير سليم للعوامل والأسباب التي تتحكم بهذه التطورات والتحويلات ، لكي نصل من كل ذلك إلى فهم أعمق لطبيعة معركتنا القومية، للمواقف الحقيقية للقوى تجاهها ، للشعارات والأهداف الصحيحة التي يجب أن نوجهها ، ولتحديد صادق جدي لمسؤولياتنا ومهماتنا الجديدة .

إن أية خطوة في هذا التحديد الهام لا بدّ وأن يسبقها أولاً فهم واعٍ شامل لمعنى قيام هذه النواة الأولى للوحدة ، فلماذا يحدث توحيد جزأين عربيين مثل هذا الانقلاب في الوضع العربي ، ولهذا كان لا بدّ وأن نتلمس أولاً تلمساً عميقاً جدياً الوجه الحقيقي لهذه الوحدة والمميزات التي تتصف بها والأسس التي تقوم عليها، ذلك أن التطورات والتحويلات الهامة التي أعقبته لم تكن نتيجة توحيد جزأين عربيين فقط، بل كذلك لأن هذه الوحدة لم تكن ((أية وحدة)) ففي طبيعته تكوينها وملامحها وأنظمتها وخط سيرها العام يكمن تفسير طبيعته هذه المرحلة الجديدة من كفاحنا القومي وبموجب هذه الملامح تتحدد مواقف القوى والحركات.

نواة الوحدة

ركيزة المعركة القومية ووجه المستقبل العربي المشرق . فعلى صعيد معركتنا القومية السياسية كان قيام النواة الأولى للوحدة العربية نقطة تحول هامة في الطابع العام للمعركة العربية و نقطة تحول هامة في الإمكانيات والأسلحة التي تخوض بها حركة النضال العربي هذه المعركة القاسية.

التحول الهام في طابع المعركة العربية وخط سيرها هو أن قيام نواة الوحدة قد نقلها من معركة تحريرية بالدرجة الأولى إلى معركة تحريرية ووحوية لا تتجزأ فقد صاغ النضال العربي الوجه الغالب للمعركة العربية طيلة السنوات المنقضية ما بين النكبة حتى قيام الوحدة على أنها معركة تحريرية ضد الأحلاف الأجنبية أو لتدعيم الحرية التي حصلت عليها بعض الأجزاء العربية وخاض الشعب العربي معركة الأحلاف في جزء تلو الآخر وانتصر في بعضها واسقط الجبهة الاستعمارية الرجعية الحاكمة التي تفرض سيطرتها في أجزاء أخرى إلا أن هذه السنوات جاءت لتثبت في النهاية أن التجزئة والحرية نقبضان لا يجتمعان ، لأن الحرية في ظل التجزئة تبقى حالة نظرية مجردة من معظم مدلولاتها العملية ، وتبقى دوماً تقتقر إلى الجذور التي تشدها إلى الأرض وتبعث فيها الفعالية والحياة. وإذا أثبتت هذه السنوات العملاقة العضوية الوثيقة التي تربط الاستعمار بالتجزئة فإنما قد جددت بذلك أيضاً أن أعداء التحرر العربي كانوا هم نفس أعداء الوحدة العربية ، فلا بد إذاً للوصول إلى الحرية الحقيقية من القضاء بنفس الوقت على ركائز

التجزئة وحلفائها ، ولا بدّ للمعركة العربية كي تحقق نتائج عملية حاسمة من أن يسير فيها الكفاح التحرري القومي ضد الجبهة الاستعمارية الرجعية الصهيونية جنباً إلى جنب مع الكفاح القومي الوحدوي ضد التجزئة. وهذه القاعدة النضالية الهامة التي كانت واضحة على الصعيد النظري قبل الوحدة جاءت الوحدة لتثبتها اليوم بالدليل العملي لكافة جماهير الشعب العربي . فكما جاء قيام الوحدة نتيجة كفاح مريز ضد الجبهة الاستعمارية الرجعية التي استماتت لمنع وحدة مصر وسورية وتستमित الآن لمنع كل خطوة وحدوية سليمة، كذلك فقد جاء يقيم امتزاج هذين الكيانين العربيين في دولة واحدة قلعة راسخة للتحرر العربي عادت بدورها تصون هذا التحرر وتمده بعوامل النمو والاستمرار والقوة. وأثبت الاستقرار السياسي النسبي الذي بدأ ينعم به لأول مرة إقليمياً الوحدة ، كما يظهر بالمقابل جو الأزمات السياسية الخائفة والمؤامرات والضغط الاستعماري الرجعي والصهيوني الذي يسود الكيانات العربية المجزأة، هذه القاعدة من جديد: أنه حيث الوحدة يتدعم الاستقرار السياسي وتكامل الحرية وتأخذ معناها الحيوي الفاعل، وحيث التجزئة لا بدّ أن يفقداً لاستقرار السياسي وتخدم أنفاس الحرية . وهكذا إذ وضعت نواة الوحدة الأساس العملي التطبيقي للترابط العضوي الكائن بين معركتي التحرر والوحدة كوجهين لمعركة الأمة الواحدة فإنما قد أظهرت بالتطبيق العملي أيضاً أنّ هذا الترابط العضوي قد جعل الوحدة العربية كالتفاعل المزدوج : فالحرية لا تنمو بذورها ولا تتعمق جذورها إلا في ظل الوحدة ، والوحدة ذاتها تعود لتصبح عملية تحررية كبرى لأنها ضمانة التحرر ودعامته الراسخة وبهذا إذ تثبت تجربة الجمهورية العربية المتحدة أن الوحدة السليمة تحوي كل عناصر التحرر بل تقفز بالطاقة التحررية قفزة ثورية كبرى ، فإنما تخط القاعدة التوجيهية السليمة التي يجب أن تسيّر كفاحنا القومي بعد اليوم ، فتحدد الطابع العام للمعركة العربية على أنها معركة وحدة بالدرجة الأولى ، وأن نضال الوحدة مذ أصبح الخط السليم لنضال التحرر إنما يجب أن يرافق ويوجه كل خطوات النضال العربي في أي جبهة كانت وبهذا إذ تنزع هذه التجربة الوحدوية من العقول بالدليل العملي أسطورة التحرر الكياني والاستقلال المحلي وتظهر مثل هذا التحرر على حقيقته تحرراً منقوصاً مجرداً من أهم عناصر الحياة والاستمرار، فإنما تضع القاعدة السابقة بشكل أكثر تحديداً ودقة: فكل نضال تحرري مخلص تحتم بعد اليوم أن يكون مقروناً اقتنائياً مسلكياً بالنضال للانضمام لنواة الوحدة التي تمثل قلعة التحرر العربي ، وكل خطوة تحررية إنما تقاس من حيث جديتها وإخلاصها بمدى اقترابها من هذه الوحدة.

وبنفس المنطق إذا عكسنا هذه القاعدة نقول: إن كل تحرر عربي قرر لنفسه أن يدور خارج إطار هذه الوحدة المصغرة بعد اليوم وأن يبقى معزولاً عنها إنما يجب أن نضع علامة تساؤل كبرى حول مدى إخلاصه وجديته وبهذا تطرح تجربة الوحدة المصغرة اليوم بحدّة مشكلة وضع الأجزاء العربية المتحررة التي لا زال المسؤولون فيها يتمسكون بمفهوم الاستقلال المحلي والحرية الكيانية و بماذا يفسر هؤلاء موقفهم بعد هذا الوضع الجديد؟ بماذا يبررون تكريسهم للتجزئة وواقع الكيانات؟ وإلى متى يمكن أن يبقى الشعب العربي يرقب هذه المهزلة بعد أن فصح قيام نواة الوحدة التناقضات الصارخة التي ينطوي عليها وضع هذه الأجزاء بهذا الشكل ؟ إن هذه الحقائق التي جاءت نواة الوحدة تترجمها لجماهير الشعب العربي بأمثلة حية ملموسة كما تشكل جانباً من المميزات التي تتصف بها هذه الوحدة كذلك تفسر جانباً من هذا التكالب الاستعماري الرجعي على محاربتها بعنف .

هذا التحول الذي أحدثه قيام الوحدة المصغرة في المعركة العربية من معركة تحريرية ضد الأخطاف إلى معركة أصبح نضال الوحدة فيها هو الموجه والأساس الراسخ للمعركة العربية عامة، إنما يمثل في لواقع قفزة ثورية هامة في خط سير هذه المعركة . ذلك أن هذا الحدث القومي يعبر عن ارتفاع النضال العربي إلى مستوٍ جديد في وعيه وفاعليته ، ويحدد بدء خروجه من مرحلة الدفاع السلبي حيث كان يتركز الجهد النضالي لالتقاء الضربات الموجهة من الجبهة الاستعمارية الرجعية والخطر الصهيوني ، إلى مرحلة إيجابية بدأ النضال القومي يتسلم فيها زمام المبادرة ويرتفع عن مستوى رد الفعل ويتحول بهذا تدريجياً من نضال منفعل بالظرف إلى نضال هادف يسيطر على الظروف ويقطع شوطاً هاماً في طريق هدف الوحدة ، ولما كان نضال الوحدة يفترض مرحلة متقدمة من الوعي القومي نظراً للملاسات التي رافقته نتيجة محاولات الجبهة الاستعمارية الرجعية المتكررة لحرفه عن الخط السليم ، وكانت القدرة على الخروج من مرحلة النضال السلبي وانتزاع زمام المبادرة ، إنما تتناسب كلها تناسباً طردياً مع مدى اقتراب النضال من التجسيد العملي للوحدة العربية ، لذلك كانت الخطوة الوحدوية الأولى المتمثلة بالجمهورية العربية المتحدة تعبيراً عملياً عن هذه القفزة في مستوى وعي وفعالية حركة النضال العربي ، وهي كما تمثل الوجه الإيجابي الفاعل في هذه الحركة النضالية كذلك تميز بدء مرحلة جديدة فيها .

ومن الطبيعي أن يكون من أهم المعاني التي يتضمنها قيام هذه النواة الأولى للوحدة هو دورها في معركة الوحدة العربية نفسها . فقيامها امتلكت معركة الوحدة مرتكزاً متيناً تستند إليه وبهذا نقلت نواة الوحدة هذا الهدف من نطاق دعوة تبشر بها الطليعة العربية وحس تلقائي يجيش في نفوس الأمة إلى واقع حي ملموس ، وفي هذا الانتقال يكمن التحول الجذري الذي دخل معركة الوحدة . فهذه الخطوة الوحدوية الأولى كما ستحول سير معركة التحرر من سرعة عادية إلى تسارع متزايد ، كذلك ستدفع معركة التوحيد بسرعة متعظمة . هكذا أثبت تاريخ الوحدات القومية للأمم في العالم ، إنها دوماً الخطوة الأولى التي تتطلب الجزء الأكبر من الزمن والجهد والعمل ، ولكن ما أن تتم هذه الخطوة الأولى حتى تتلاحق الخطوات، وما أن تعبر الدعوة عن نفسها تعبيراً أولياً حتى تتسع وتتكامل ليتخذ هذا التعبير شكله الطبيعي النهائي .

هذه الحقيقة يجب ألا تفهم من زاويتها السلبية رفعاً للمسؤولية عن كاهل الشعب وتركيزاً لها في نواة الوحدة ، كأنها تتحول عندئذٍ إلى دعوة تخديرية خطيرة ، فالطريق ليس مفروشا بالورود بعد الخطوة الأولى ، وأعداء الوحدة الذين يدركون جيداً النتائج الثورية العميقة التي تترتب عليها سيعملون باستماتة لمحاربتها بعنف وشراسة . هذه الحقيقة تكتسب قوتها الفاعلة حين تفهم من زاويتها الإيجابية . من زاوية أن نضال الوحدة قد اكتسب بقيام هذه الوحدة المصغرة قوته الدافعة ، وهذه الدعوة التي تجسدت في الواقع العربي نموذجاً أولياً حياً لا بد وأن يكون من شأنها أن تثير القوى الكامنة في نفوس الشعب وتزيد ثقته بنفسه وإمكاناته و أصالة أهدافه وواقعيته مما سيدفعه إلى المزيد من النضال والتضحيات والعمل للانضمام إلى هذه الوحدة الأولية إن جماهير الشعب العربي ستناضل بعد اليوم وهي تتطلع إلى البناء الوحدوي الذي تجسد حقيقة ملموسة أمام ناظرها ، ونلمس أن الكفاح القومي السابق في سبيل هذا الهدف المقدس قد حقق تعبيره العملي المبدئي بإقامة هذه الوحدة المصغرة فلا بد إذاً من أن يحقق استمرار الكفاح تعبيره العملي الكامل في الوحدة العربية الشاملة .

إن نضال الوحدة يشق طريقه بعد اليوم منطلقاً من دولة موحدة تجسد الوحدة عملياً كما تتبنى توسيع وتعميق الدعوة لها ، وهذا فضلاً عن أنه يسلم النضال الوحدوي بإمكانات دولة مما يزيد طاقته زيادة ثورية كبرى ، فإنه كذلك يبعث في هذا النضال روح جديدة. فقد جاء قيام نواة الوحدة ليحكم بالموت على التوجيهات الاستعمارية الرجعية المسمومة التي كانت تصور الوحدة دعوة خيالية وهدفاً وهمياً لا يجد أساسه في الواقع العربي ، وماتت إلى غير رجعة تلك الدعوات التي حاولت عبثاً تزييف واقعنا وتاريخنا وخلق القوميات المصطنعة وتصوير الأمة العربية مجموعة أمم وشعوب لا يمكن أن نلتقي في وحدة متماسكة ويجب بالتالي أن تعيش في مجموعة دول . كل هذه الاتجاهات تداعت اليوم أمام تجسد الوحدة تجسيداً أولياً حيث أثبت هذا الحدث بالدليل العملي لا بالجدل الفكري أن تلك الاتجاهات غريبة عن واقعنا بعيدة عن طبيعة وجودنا ، وأن التطور القومي التاريخي كان لا بد وأن ينتهي إلى هذه الوحدة ، فأى روح جديدة تبعثها هذه الحقيقة في حركة النضال القومي ، وأية قدرة هائلة من الثقة والتفاؤل الواعي والتصميم أصبح يمتلكها النضال ، ومن هنا كانت القيمة الكبرى لنواة الوحدة المتمثلة بالجمهورية العربية المتحدة لا تكتسب معناها من الدور الكبير الذي تلعبه في الحاضر العربي فحسب _ بل وبدرجة أكبر _ للانقلاب العميق الذي سيشهده المستقبل العربي على يديها والصورة الجديدة التي تصوغها اليوم للغد المقبل ففي هذه النواة الوحدوية الأولى كل معطيات الوحدة العربية الشاملة ، ونحن إذ نرى فيها من اليوم صور الدول العربية الواحدة من المحيط إلى الخليج ، فكذلك يرى فيها أعداء الأمة هذه الصورة وهم بالتالي إذ يحاربونها بلا هوادة وبذعر لا متناهٍ فإنما يحاربون فيها منذ الآن الشكل الذي ستكون عليه في المستقبل حين تتسع الجمهورية المتحدة لتضم كل العرب في جمهورية واحدة .

هذه النواة الأولى للوحدة العربية كما جاءت نقطة تحول هامة في الطابع العام للمعركة العربية وخط سيرها وحددت الطريق السليم لنضال التحرر والوحدة ، كذلك كان من الطبيعي أن تكون نقطة تحول جذرية في إمكانات وأسلحة حركة النضال العربي ، وكانت نقطة الثقل في هذا التحول هي في القيادة الجديدة التي وفرتها نواة الوحدة للنضال العربي والطاقت المادية والمعنوية الهائلة التي امتلكتها نتيجة لها

لقد جاءت النكبة لتعطي المثل الحي على نوعية القيادات العربية التي نصبت نفسها على رأس النضال العربي وإذا كانت هذه الكارثة القومية قد أزاحت الغطاء عن الواقع العربي المهترئ الفاسد وأظهرت الزيف الذي كان يسود الحياة العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فإنما أظهرت بصورة خاصة فساد القيادات العربية وزيفها كجزء لا يتجزأ من مميزات ذلك الواقع السياسي الفاسد . ولما كانت القيادة المخلصة الواعية الكفوة من أول أسلحة النضال القومي وأهم شروط النصر إن لم نقل أهمها ، فقد كان من العبث أن ننتظر أن يحقق النضال العربي نتائج جدية آنذاك طالما كان مفتقراً إلى هذه القيادة .

لقد كان الطابع العام للقيادات العربية إما قيادات رجعية متعاونة مع الاستعمار وإما قيادات انتهازية تسير بوحى ارتباطاتها المصلحية ، وفي الحالات ا لقليلة التي كان يتوفر في بعضها الإخلاص والتجرد كان ينقصها الكفاءة والوعي العميق في معظم الأحيان. وهكذا جاءت حركة النضال العربي لفترة طويلة تفتقر إلى الرأس المفكر المخطط والقلب المخلص المتجرد . وإذا كانت النكبة قد حتمت الثورة القومية الجذرية على الواقع العربي الفاسد الشاذ ، فإن أول ما حتمته

هو الثورة على هذا النمط من القيادات التي تمثل الزعامات المصلحية الواهية أكثر مما تمثل أي مفهوم من المفاهيم الواعية.

وقد جاء قيام النواة الأولى للوحدة العربية ليقيم على رأس النضال العربي قيادة جديدة دفع الوعي القومي إلى صفوفها عناصر أوصلتها المعركة إلى صفوف القيادة على جدارة وإخلاص ولم تفرض على هذا النضال بحكم عوامل وراثية امتهان السياسة أو الثروة أو الترمويه والنفاق . هذه القيادة الجديدة المتمثلة بالجمهورية العربية المتحدة لاتمثل فقط مرحلة متقدمة عن مستوى القيادات السابقة بل تختلف معها نوعياً إلى حد بعيد عن كفاءتها وإخلاصها ووعيتها. وقد كانت القفزة التي قفزتها حركة النضال العربي بامتلاكها هذا السلاح النضالي الهام كبير بقدر ما هو الفارق الكبير بين الزعامات التي ساقط الشعب العربي بامتلاكها هذا السلاح النضالي الهام ، والقيادة التي قادته في نضاله من أجل الحرية وقطعت هذا الشوط الهام في طريق الوحدة والإعداد لمجابهة الاغتصاب الصهيوني . ولأول مرة منذ عشرات السنين يجد الاستعمار أمامه قيادة نضالية واعية بدأت تكافحه بحزم وجرأة وعلمية كما بدأت تعمل على الارتقاء بالنضال العربي عن مستوى الهبات العاطفية والسير العشوائي وتخلصه من الانقطاعات التي تمنع استمراره وتطهره من العناصر الرجعية والانتهازية والشعوبية التي تناقض مجرى الحركة القومية العربية .

مثل هذه القيادة القومية ما كان من الممكن أن تتغلق داخل حدود نواة الوحدة ، فهي التي ظهرت من صميم المعركة لا يمكن إلا أن تبقى في قلبها ، فضلاً عن أن هذه الخطوة الوحيدة الأولى هي بحكم طبيعتها متفحة متفاعلة على أحداث الوطن، لأنها اتجاه قبل أن تكون دولة ، والاتجاه لا يمكن حصره ضمن الحدود لأنه تعبير عن إرادة غالبية الشعب العربي، وهكذا إذ حتم هذا الوضع على قيادة الجمهورية العربية المتحدة أن تحيا المعركة العربية بكل شمولها واتساعها فإنما جعل منها بالمقابل القيادة الرسمية لحركة النضال العربي ، وبهذا امتلك النضال العربي فضلاً عن القيادة الجديدة التي تتدعم مع الزمن بارتفاع مستوى الوعي القومي الشعبي، دولة توجه النضال العربي وتغذيه . دولة ترمي بثقلها في المعركة القومية ولها من الإمكانيات السياسية والمادية والدعوية ما يمكنها من أن تكون ينبوعاً دائماً يمد هذه المعركة بعوامل الاستمرار ويزيدها صلابة وعنفاً، مما يختصر الزمن ويدفع حركة النضال العربي في سنوات معدودة أضعاف ما قطعته في عشرات السنين وهذه الدولة الموحدة كما تمثل قلعة التحرر العربي وينبوعه كذلك هي المرتكز الراسخ الذي سار مشتتاً مبعثراً طيلة سنوات عديدة يفقد معظم حيويته في حدود الكيانات دون أن يلقي أي تجاوب يذكر .

وهكذا نجد الجبهة الاستعمارية الرجعية الصهيونية أمامها اليوم حركة نضالية تمتلك بقيام نواة الوحدة العربية قيادة مخلصه وتدعمها إمكانيات دولة مما كان ولا بدّ وأن ينعكس في انتقال المعركة العربية إلى وضع جديد . وعلى ضوء هذا الوضع الجديد للمعركة الذي قام بقيام نواة الوحدة نستطيع فقط أن نفسر كافة الأحداث الكبيرة التي كان عام الوحدة مسرحاً لها .

وهكذا وقبل أن يعلن قيام الوحدة بين مصر وسورية رسمياً دبر الملك سعود مؤامراته الفاشلة لخنق الوحدة في مهدها ، وافتعلت حكومة السودان السابقة فجأة حوادث الحدود التي أصبحت بين عشية وضحاها شكوى رسمية تبحث في مجلس الأمن الدولي ، وتوالت التحشيدات الإسرائيلية وحاولت ((إسرائيل)) القيام باعتداء واسع النطاق على الإقليم الشمالي ، واستمالت شمعون

وأعوانه في فرض التجديد لفرض السياسة الاستعمارية على الشعب العربي في لبنان ، وفضحت محاكمات خونة العهد البائد في العراق المؤامرات التي كانت تدبرها الفئة الحاكمة بدعم الاستعمار لضرب الوحدة وفصل الإقليم الشمالي، كما رافق هذه التحركات الاستعمارية الرجعية الصهيونية محاولات متعددة لامتصاص المد الوحدي ، فقام الاتحاد الهاشمي المزيف بعد بضعة أيام من قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وبعث من جديد مشروع الاتحاد الفدرالي المرتبط بفرنسا في المغرب ، ومشروع اتحاد المحميات المرتبط ببريطانيا في الجنوب العربي ، كما بدأت تتوارد الأنباء عن مشروع اتحاد الدول العربية المنتجة للبتروول .

فلماذا يحدث قيام مثل هذه الوحدة المصغرة كل هذه التطورات الكبيرة في الوضع العربي السياسي؟ إن تفسير ردة الفعل الواسعة هذه إنما يكمن في المعاني والنتائج الثورية العميقة التي يتضمنها هذا الانعطاف العميق في حياة العرب الحديثة .

وهذا كما يفسر بواعث هذه الردة الاستعمارية الرجعية الصهيونية الواسعة إنما يفسر كذلك السبب الدافع وراء الانتصارات التي حققتها حركة النضال العربي في المقابل ، ومن فشل مؤامرة الملك سعود وتواريه عن المسرح السياسي امتصاصاً لنقمة الشعب ، إلى الرد العنيف التي قامت به الجمهورية المتحدة الحديثة الولادة ضد التحرشات الصهيونية والذي كان الأول من نوعه منذ وقوع النكبة وقيام دولة الغزاة، إلى فشل مؤامرة التجديد في لبنان وتخلى شمعون مرغماً عن السلطة ، إلى ثورة العراق الجبارة وانهايار أقوى قلاع الجبهة الاستعمارية الرجعية في الوطن، إلى الفزع الكبير الذي دب في معسكر هذه الجبهة ودفعها لإنزال القوات الاستعمارية في لبنان والأردن لتثبيت نفوذها الذي اهتز بعنف نتيجة المد النضالي والمعنوي الكبير الذي خلفه هذا الحدث، إلى فشل الحصار الاقتصادي وحملة التجويع التي شنها الاستعمار على نواة الوحدة، إلى هذا الغليان النضالي المتحفز الذي نلمسه بوضوح في معظم أنحاء الوطن العربي .

إن هذه التطورات التي كانت بمثابة سلسلة متصلة الحلقات لا يمكن أن تفهم إلا على ضوء الانقلاب الذي أحدث قيام النواة الأولى للوحدة العربية في الوضع العربي والمد الكبير الذي بعثه في حركة النضال القومي. ومن هنا، لن تكن هذه الأحداث الهامة التي أعقبت هذا النصر القومي التاريخي بمستغربه في الواقع ، فقد كان واضحاً دوماً قبل أن تحقق هذه الوحدة الأولية أن الوحدة العربية السليمة هي ثورة بحد ذاتها لا بدّ وأن تنعكس بتغييرات عميقة في الحياة العربية. وهذه الحقيقة التي تعطي تفسير التطورات الهامة السابقة هي نفسها التي تجعلنا نتنبأ منذ الآن أن السنوات القريبة القادمة ستحمل في طياتها بعد قيام هذه الخطوة الوحوية سلسلة جديدة هامة من التطورات السياسية والقومية الوثيقة الارتباط بالمستقبل العربي عامة.

هذه النواة الأولية للوحدة تخوض وتقود إلى جانب معركة تحرير الوطن العربي وتوحيده معركة تثبيت شخصية القومية المستقلة في المجال الدولي وتدعيم مبدأ الحياد الإيجابي وعدم الانحياز .

وهي بهذا إذ تخط الموقف السليم من معركة الصراع العالمي الناشب بين المعسكرين فإنما تعمل على تجنب الأمة العربية الانزلاق في مناطق النفوذ والارتباط بعجلة أي منها وقد كان ولا بد أن يدفع الإخلاص هذه الوحدة في الواقع لأن تكون منسجمة مع نفسها في كافة مواقفها ولهذا ما كان يمكن لها مادامت تتبنى الاتجاه القومي التحرري في المحيط العربي إلا أن تنشئ الاتجاه التحرري أيضاً في المحيط الدولي و إلا أن تسلك طريق عدم الانحياز.

منشورات حركة القوميين العرب

ولقد استطاعت هذه الوحدة العربية المصغرة بفضل القوة الجديدة التي امتلكتها بنتيجة امتزاج إمكانات الشعب العربي المادية والمعنوية في إقليمها أن تحقق انتصارات دولية جديدة بمعركة الشعب من أجل تحرير الوطن وتوحيده والنهوض من حدود الوطن لتجعلها تدريجياً قضية مطروحة على صعيد الرأي العام العالمي . وهي بذلك كما عمقت مفهوم عدم الانحياز في نفوس جماهير الشعب العربي كذلك قد أصبحت ركناً هاماً من أركان هذا المبدأ في كتلة الحياض الإيجابية ، وبدأت خلال مساهمتها في تثبيت هذا المبدأ تساهم في معركة السلام العالمي وهكذا كما أثبتت تجربة الجمهورية العربية المتحدة أن الوحدة هي الطريق الوحيد للحرية الحقيقية وأن الحرية في ظل التجزئة تنقلص إلى حرية مهددة تفتقد الثبات الاستقرار والقدرة والاستمرار ، كذلك جاءت لتثبت بالدليل العملي أن الوحدة العربية هي الطريق الوحيد للحياض الإيجابي الحقيقي لأنها وحدها القادرة بما توفره من إمكانات بشرية وسياسية واقتصادية ضخمة أن تجنب العرب من الوقوع تحت سيطرة التبعية السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية لأي من المعسكرين، وأن الحياض يتحول بالتالي في واقع التجزئة والكيانات إما إلى تمويه مفضوح أو إلى دعوة نظرية مجردة .

إن هذا التحول الجذري الذي أحدث قيام الجمهورية المتحدة في معركتنا القومية السياسية كان لا بد وأن تدفعه مقتضيات المعركة إلى الالتفات لمتين الجبهة الداخلية وجعل الجمهورية أقدر على قيادة المعركة السياسية، هذا من جهة، ولأن يدفعه الإخلاص إلى الاتجاه نحو الشعب للنهوض به تدريجياً من واقع الفقر والجهل والمرض من جهة ثانية.

إن القيمة الكبرى التي تتضمنها تجربة البناء العربي هذه هي أنها تجربة تقدمية تهدف لإقامة المجتمع الاشتراكي الذي يحقق إنسانية المجموع العربي بتحقيقه للعدالة والمساواة ، وبهذا كما تتضمن هذه الوحدة المصغرة كل معطيات الوحدة العربية الشاملة التي ستقوم على أنقاض التجزئة والضعف وتشكل مرتكز النضال الوجدوي ، كذلك تحمل ملامح المستقبل العربي المشرق الذي سيقوم على أنقاض الفساد والاستغلال والظلم وتشكل المرتكز العملي للحركة التقدمية في الوطن . إن هذه الوحدة المصغرة ترسم اليوم خطأً جديداً مليئاً بعناصر الحياة والتقدم يشق طريقه في وسط المجتمع العربي الذي ما زال يحفل بعوامل التلاشي والجمود ، وهي إذ تقيم بهذا نموذجاً جديداً حياً للمجتمع القومي المقبل، مجتمع العدالة والقوة ففضلاً عن أنها تفضح بتقدميتها رجعية الأوضاع المنتشرة حولها وتبعث في نفوس جماهير الشعب المتطلعة إليها طاقات نضالية زاخرة، فإنما تحرر قوى شعبية ضخمة كانت إلى وقت قريب تعيش شبه مشلولة في المجتمع بفعل الأوضاع الاجتماعية البالية والاقتصادية الجائرة، وإذ تحدد هذه النواة الأولى للوحدة تجربتنا القومية على أنها نهضة قومية إنسانية ، فإن في هذا الوسط الجديد ستعود الأمة العربية لتبني نفسها مرة أخرى بناءً قومياً إنسانياً واضح الأهداف والمعالم والطريق.

هذه النواة الوجدوية قد بدأت تحاول انتهاج الأسلوب العلمي في العمل ، كان لا بد لها وهي تتجه نحو تجربة البناء الاقتصادي الاجتماعي من أن تعمل على توفير مقومات هذه التجربة . وهكذا بدأت تعمل للخروج بمجتمع الوحدة من الوسط الزراعي المتخلف لتضع أسس مجتمع صناعي .

وهذا الاتجاه المبطن بوعي قومي اجتماعي تقدمي إنما يمثل نقطة انعطاف كبيرة في الوضع العربي بمختلف جوانبه . إن التصنيع يدخل لأول مرة أرض الوطن ، ونشوء دولة صناعية حديثة في الوطن العربي الذي يمثل في طابعه العام وسطاً زراعياً متخلفاً إنما هو بدء انقلاب جذري في حياتنا القومية الاقتصادية سيكون له آثاراً عميقة بالنسبة للإستعمار ومصالحة الاقتصادية ورساميله وشركاته في الوطن، وبالنسبة ((لإسرائيل)) ومخططات الصهيونية العالمية التي تعدها لأن تكون مصنعاً ضخماً في وسط زراعي متخلف .

وهكذا تعود التجربة القصيرة للجمهورية المتحدة لتثبت هنا أيضاً من جديد ، إن الوحدة العربية هي أساس الثورة القومية الاجتماعية كما هي أساس الثورة السياسية ، وأنها كما هي طريق الحرية الحقيقية والحياد الإيجابي السليم ، فهي أيضاً الشرط اللازم للنهضة العربية الشاملة ومرتكز الاتجاه التقدمي.

الوحدة هي المقياس

إن الوحدة العربية المصغرة بكونها نواة الدولة العربية الواحدة وتعبيراً عن نصر حاسم ضد التجزئة وركائزها أولاً ، وبكل هذه السمات والملامح التي تميزها والتي أصبحت من صفاتها التكوينية ثانياً إنما أصبحت بحد ذاتها هي التحول الرئيسي الأول الذي طرأ على المعركة العربية والتحول الذي أدخلته على طابع المعركة العربية وإمكانات حركة النضال العربي تبعه تحولات أخرى متعددة لها أهمية خاصة في هذه الفترة، فمن الطبيعي أن تكون المرحلة الأولى لقيام الوحدة العربية هي أصعب هذه المراحل لأنها مرحلة تثبيت وتدعيم نواة هذه الوحدة ، كما أنه من الطبيعي أن تتميز برودة فعل معاكسة واسعة نتيجة التغيير العميق الذي تولد عنها والذعر الكبير الذي أحدثته لدى كل من يخشى اتجاهها ، لذلك كنا في هذه الفترة بحاجة أكثر من أي فترة أخرى إلى تقدير سليم لهذه التحولات وطبيعتها وبواعثها ومنطلقاتها والقوى التي تحركها لكي نكون أقدر على تحديد ساحة المعركة القومية بوضوح تام ، وأقدر بالتالي على تحديد مهمتنا النضالية التاريخية والخط السليم الذي يجب أن نسير فيه.

قوى المعركة تتحدد على أساس وحدوي

كان التحول الأول الذي طرأ على المعركة العربية هو أن قيام نواة الوحدة قد أحدث تغييرات هامة في وضع القوى العاملة في هذه المعركة ونظرتها لها ومواقفها منها بحيث أدى إلى اختلاف واضح في تركيب هذه القوى الآن عنه في مرحلة ما قبل الوحدة ففي مرحلة ما قبل الوحدة حيث كان النضال العربي الغالب نضالاً تحريراً ضد السيطرة الاستعمارية الرجعية ، كان يمكن أن نميز تيارين رئيسيين يتجاذبان المعركة العربية :

تيار تحرري يهدف إلى تصفية الاستعمار والفئات الحاكمة المرتبطة به، ولم يكن هذا التيار التحرري يتحدد باتجاه واحد معين بل ضم في صفوفه آنذاك الاتجاه القومي جنباً إلى جنب مع الاتجاه الشعبي .

وتيار رجعي استعماري يعمل على تثبيت السيطرة الاستعمارية ويضم فضلاً عن الاستعمار كل الفئات والاتجاهات التي ربطت مصالحها ووجودها ببقائه في الوطن وإضعاف حركة النضال العربي .

منشورات حركة القوميين العرب

وبين هذين التيارين الرجعي والتحرري كانت تنتقل الانتهازية العربية واضعة قدمها هنا وقدمها هناك محاولة إيجاد ((مكان محفوظ)) لها في كلا الجانبين لتقرر انحيازها لأي منها وفق التقاء مصلحتها مع طبيعة الظرف السياسي النضالي السائد .

هكذا كان الوضع إلى ما قبل فترة وجيزة جداً من قيام نواة الوحدة في تلك الفترة أدى التقاء مصلحة الاتجاه الشعبي مع هدف الاتجاه القومي على تصفية الاستعمار إلى التقائها في تيار واحد رغم أنهما يختلفان اختلافاً يصل إلى حد التناقض في منطلقاتهما الأساسية وأهدافهما البعيدة . ولكن قيام نواة الوحدة إذ نقل النضال العربي عملياً من كفاح تحرري فقط كان يكفي للتقاء الاتجاهات فيه أن تلتقي على ضرورة مكافحة الاستعمار إلى كفاح تحرري وحدوي لا يتجزأ أصبح الالتقاء فيه يتطلب التقاء في النضال لتحقيق الوحدة فضلاً عن الحرية ، فإنما كان بمثابة الكاشف الذي فضح الالتقاء المغشوش بين الاتجاه القومي والاتجاه الشعبي ورد كل منهما إلى نقاط انطلاقه الأصلية . وبهذا إذ أظهر قيام نواة الوحدة الاتجاه الشعبي اليساري على حقيقته اتجاهاً مناقضاً للقومية ومعادياً للوحدة ، وأظهر التقاؤه مع الاتجاه القومي في تيار واحد تفاعلاً ظرفياً قصير النفس لا إيماناً راسخاً دائماً بالأهداف القومية للمعركة العربية، فإنما فضلاً عن أنه قد أحدث تبديلاً واضحاً في تركيب القوى العاملة في المعركة قد وضع مقياساً جديداً للأساس الذي تتشكل عليه بعد الآن التيارات السياسية هذا المقياس هو الوحدة .

وهكذا تحدد التياران الذان يتجاذبان المعركة العربية اليوم على شكل جديد :

تيار قومي وحدوي تحرري يضم المؤمنين بالقومية العربية واقعاً حياتياً ومنطلقاً أساسياً للمعركة العربية بكافة جوانبها وهذا التيار إذ يجعل شعاره التحرر في سبيل التوحيد والوحدة لضمان التحرر ، فإنما يعمل على تثبيت نواة الوحدة وتوسيعها ليجابه الاغتصاب الصهيوني ويهيئ للنهوض الاقتصادي الاجتماعي الشامل .

وتيار انفصالي يضم كافة الاتجاهات الانفصالية التي لا تؤمن بالقومية العربية ووحدة الأمة العربية ، وهذا التيار إذ يجعل شعاره اليوم محاربة نواة الوحدة العربية المتمثلة بالجمهورية المتحدة فإنما يعمل على تثبيت التجزئة، وتلتقي فيه الجبهة الاستعمارية الرجعية مع الاتجاه الشعبي اللاقومي. وقد بدأت الانتهازية العربية تتحاز بغالبيتها إلى هذا التيار الانفصالي.

فلماذا يحدث قيام نواة الوحدة العربية كل هذا التبديل في مواقف القوى والحركات ؟ وكيف تلتقي الجبهة الاستعمارية الرجعية مع الحركة الشعبية الشيوعية في تيار واحد ؟

كيف نجد في صفوف هذا التيار الانفصالي وجوهاً عديدة طالما كانت على فترة وجيزة تتغنى بإيمانها بالوحدة ؟

ولماذا يتكتل هذا التيار لمحاربة النواة الأولى للوحدة بصورة خاصة ويعمل جاهداً لهدمها ؟ وهل يدفع هذا التيار المعركة العربية بهذا الاتجاه إلى تثبيت النفوذ الاستعماري الرجعي وتدعيم الاغتصاب الصهيوني وعرقلة التقدم العربي والتطور القومي الطبيعي ؟

الواقع أن بواعث كل من هذه الاتجاهات المكونة لهذا التيار سواء الاستعماري الرجعي أو الشعبي الشيوعي أو الانتهازي المصلحي في هذا الحقد الأسود الذي تكنه للوحدة إنما يكمن في الآثار العميقة التي ستخلفها في وضع كل من هذه الاتجاهات وغاياتها .

فبالنسبة للحركة الشعبية الشيوعية أحدث قيام الوحدة تأثيراً هاماً على وضعها وأهدافها ومخططاتها في الوطن كان لا بدّ وأن يدفعها إما لإجراء تعديل أساسي في العوامل التي تحدد وفقها مخططاتها ، وإما إلى إتخاذ موقف العداء الصريح من الوحدة . والواقع أن أي تحليل لموقف الحركة الشعبية الشيوعية من معركتنا القومية لا بدّ وأن يأخذ بعين الاعتبار عاملين أساسيين يتحكمان دوماً في تحديد مواقفها ومخططاتها ، وإما إلى إتخاذ موقف العداء الصريح من الوحدة . والواقع أن أي تحليل لموقف الحركة الشعبية الشيوعية من معركتنا القومية لا بدّ وأن يأخذ بعين الاعتبار عاملين أساسيين يتحكمان دوماً في تحديد مواقفها وشعاراتها ومخططاتها .

الأول :إن الحركة الشعبية الشيوعية لا تنطلق في المعركة العربية الدائرة اليوم من أساس قومي ، أي لا تنظر إليها من ضمن إطار المتطلبات العملية للقومية العربية الواحدة والأهداف القومية للأمة ، بل تنطلق في هذه المعركة من أساس عالمي لا قومي وتنظر إليها من ضمن إطار متطلبات المعركة السياسية الدولية الدائرة بين السوفييت والغرب وأهداف الحركة الشيوعية في العالم ونقطة الانطلاق الأساسية هذه لا بدّ وأن تنعكس في المخطط الموضوع . ولهذا لا تستوحي الحركة الشعبية الشيوعية مخططها المحلي من داخل الوطن العربي وبما ينسجم مع أهداف الأمة ومصالحها القومية العليا ، بل من الخارج وبما ينسجم مع أهداف المعركة الدولية ومصالحها العالمية . فليست مهمة المعركة العربية بنظر هذه الحركة أن تعيد الأمة إلى وضعها الطبيعي في دولة عربية واحدة وتقيم المجتمع القومي الإنساني المتحرر ، بل أن تحقق دوراً مرسوماً في المعركة الدولية يتكامل مع ادوار المعارك الأخرى في العالم في مخطط عالمي موضوع مسبقاً والتغيرات التي تطرأ على مواقفها وسياستها العامة ليست إلا انعكاساً للتغيرات التي تطرأ على ذلك المخطط العالمي حسب تبدل الظروف السياسية الدولية . ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الاختلاف الواضح في نقطة الانطلاق بين الحركة الشعبية والشيوعية والحركة القومية العربية إلى مرحلة يصبح فيها المخطط القومي الذي ينطلق من مصلحة الوطن وأهداف الأمة مناقضاً للمخطط الشعبي الشيوعي الذي ينظر لأهداف الأمة من زاوية مصلحة معسكر معين .

هذا هو العامل الأول الذي يتحكم بمخطط الحركة الشعبية الشيوعية في الوطن العربي :معركة الصراع العالمي وأهداف الاستراتيجية العامة للحركة الشيوعية عامة .

العامل الثاني: هو مصلحة الحركة الشعبية الشيوعية نفسها في الوطن العربي . أي أن هذه الحركة تقيس كل هدف نضالي وكل خطوة في المعركة العربية وكل نصر قومي بمقدار ما يخلق ظروفاً أفضل لتنشيط دعوتها ومد تيارها وتوسيع انتشارها الحزبي، أي بمقدار ما يكون النضال العربي والأهداف التي يحققها وسيلة لنموها الحزبي ومرحلة لبلوغ أهدافها الخاصة وهنا كان من الطبيعي أيضاً أن يؤدي مثل هذا الاختلاف الواضح بين مقياس الحركة القومية الذي هو مصلحة

الأمة ومقياس الحركة الشعبية الشيوعية الذي هو مصلحة الحزب إلى اختلاف في فهم الأهداف القومية والخطوات النضالية التي تحققها المعركة يصل إلى حد التناقض الحاد .

وعلى ضوء هذين العاملين الذين يتحكمان بدرجات مختلفة في تنوير مخططات ومواقف الحركة الشعبية الشيوعية في الوطن العربي نستطيع أن نفهم موقف العداء الشرس الذي تقفه ضد الوحدة اليوم والتطور الذي سارت فيه حتى انتهت بعد قيام نواة الوحدة إلى الالتقاء مع الجبهة الاستعمارية الرجعية في تيار واحد .

ففي مرحلة الكفاح ضد الجبهة الاستعمارية الرجعية التقت الحركة الشعبية الشيوعية مع حركة النضال العربي في الكفاح لتصفية الاستعمار في العالم ، وإذ كانت المعركة العربية ضد الاستعمار تحتل موضعاً هاماً في هذه المعركة العالمية الدائرة لتصفية الاستعمار في العالم . وإذ كانت المعركة العربية ضد الاستعمار تحتل موضعاً هاماً في هذه المعركة العالمية نظراً للمعاقلة الاستعمارية الحصينة التي كان يمتلكها الاستعمار في الوطن العربي فضلاً عن موقعها الاستراتيجي وثرواته ، فقد اعتبرت الحركة الشعبية الشيوعية أن انتصار النضال العربي في معركته التحررية سيلعب دوراً أساسياً في معركة التصفية العالمية وهكذا تغير موقف الحركة الشعبية الشيوعية من نضال التحرر العربي في السنوات الأخيرة تبعاً للمخطط السياسي العالمي الجديد . فتناست موقفها ضد التحرر العربي وتعاونها مع الانتداب الفرنسي في سوريا ، وتعاونها مع الانتداب البريطاني ضد التحرر العربي في العراق عام ١٩٤١ وتعاونها مع الصهيونية العالمية والاستعمار ضد التحرر العربي في تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ ، ودخلت معركة التحرر جنباً إلى جنب مع حركة النضال القومي التحرري . ورغم أنه كان واضحاً لدى البعض آنذاك أن الحركة الشعبية الشيوعية في الوطن لا تعتبر الكفاح التحرري جانباً واحداً فقط من معركة قومية شاملة تخوضها الأمة العربية، وأنها في مشاركتها في الكفاح التحرري قد تغير مواقفها تبعاً لتغير معركة الصراع العالمي بين المعسكرين وتبعاً لتغير الظروف الدولية ، إلا أن حدة معركة الأحلاف ومعركة التحرر العام ضد الاستعمار سهلت التقاءها مع حركة النضال القومي .

ولكن نمو الوعي القومي في صفوف الحركة النضالية العربية كان قد بدأ تدريجياً في السنوات الأخيرة يحدد المنطلق السليم والخط الصحيح للمعركة القومية . فمذ بدأ الشعب يتفتح على حقيقته القومية أصبحت ((القومية العربية)) هي الخط التاريخي العام للمعركة العربية بأهدافها القريبة والبعيدة ومذ تأكدت العلاقة العضوية الوثيقة التي تربط الاستعمار والاحتلال الصهيوني والتخلف العام من جهة بالتجزئة من جهة ثانية ، بدأ النضال العربي يكافح لتحقيق الوحدة إلى جاب الحرية وكان على الحركة الشعبية الشيوعية أن تتكيف مع هذا الطابع العام للمعركة العربية وشعاراتها الجديدة كي لا تنعزل عن الشعب وتتضمن تهيئة الظروف المناسبة لانتشارها الحزبي ، فتظاهرت بالإيمان بالقومية العربية منطلقاً أساسياً للمعركة القومية الشاملة ، وراحت تتغنى بالوحدة العربية ولم تجد ضرراً كبيراً آنذاك على منطلقها ومخططاتها وأهدافها الخاصة طالما أن النضال العملي هو نضال تحرري ضد الاستعمار بينما لا زالت الوحدة دعوة في حيز النظرية ، بل وجدت أن التصاقها بالحركة القومية قد يتيح لها أن تطعم الخط التاريخي الذي تسير فيه المعركة وشعاراتها وأهدافها بمفاهيمها وتفسيراتها الخاصة. وهكذا نجحت الحركة الشعبية الشيوعية في إخفاء وجهها الحقيقي في غمرة حدة المعركة الضارية ضد الاستعمار وراء قناع من الوطنية والتقدمية ، وساعدت الظروف السياسية العالمية السائدة على إخفاء هذا التستر حتى

بدا للبعض أن الالتقاء المؤقت بين الاتجاه القومي والاتجاه الشعبي الشيوعي قد يتجاوز الالتقاء إلى انسجام يتناول المعركة العربية بمعظم جوانبها . ولكن أصالة الأهداف القومية من جهة ونمو الوعي القومي الشعبي من جهة ثانية كان لا بد وأن يفضحا هذا التنكر الزائف آجلاً أم عاجلاً حين يتخطى النضال العربي فهمه للمعركة العربية على أنها معركة ضد الاستعمار فحسب ، وينعكس و عليه لقيمة الوحدة في المعركة القومية بانتصارات عملية ملموسة في هذا السبيل .

وهكذا ما أن تخلص النضال العربي من النظرة الجزئية للمعركة العربية وحقق أول نصر حاسم ضد التجزئة وركائزها و أقام وحدة مصر وسوريا كياناً ملموساً حياً حتى وجدت الشعبوية الشيوعية في الوطن العربي نفسها أمام انعطاف عميق في المعركة العربية وضعها على حد فاصل كان لا بدّ وأن يتبعه تطور جذري في موقفها في المعركة القومية وحركة النضال القومي .

فالوحدة اليوم لم تعد كلياً في حيز الدعوى التي يمكن بلبلتها أو طمس دورها الرئيسي في معركتنا القومية أو حرف سيرها عن الخط السليم ، وقيام النواة الوجودية الأولى فضلاً عن أنه جاء ببلور الأساس القومي للمعركة ويثبت الخط القومي التاريخي الذي تسيير فيه مقابل الأساس العالمي والخط اللاقومي، وإنما جاء أيضاً يركز قيادة المعركة العربية في يد فئات قومية لا تنظر لهذه المعركة من الخارج ولا تعتبر مهمتها تنفيذاً لمصالح مخطط سياسي دولي لمعسكر عالمي ، ولا أهدافه تحقيقاً لإستراتيجية عالمية مرسومة خارج أرض الوطن، بل تحقيقاً لأهداف الأمة في تحرير الوطن وتوحيده وتحقيق النهوض الاقتصادي الاجتماعي الشامل . وهي بهذا إن كانت لا تؤمن بالتبعية وسياسة المعسكرات فإنما تعتبر كفاحها جزءاً من الكفاح الإنساني للقضاء على السيطرة أياً كان مصدرها والتحكم أياً كان شكله . وأن قيام الوحدة العربية المصغرة على هذه الأسس يعني تمليك النضال العربي قوة سياسية ومادية تظل من ضرورة اعتماده على معسكر معين في كفاحه السياسي أو بنائه الاجتماعي وتثبيتاً لمبدأ عدم الانحياز . والشعبوية الشيوعية في الوطن وإن كانت تعمل على تصفية سيطرة الاستعمار الغربي، إلا أنها في نفس الوقت لا تريد أن تنمو وتتسع القوة العربية بحيث تصل إلى الاستغناء عن الاعتماد على السوفييت .

ولهذا إن كانت قد التقت في السنوات الأخيرة مع حركة النضال القومي التحرري في مكافحة الاستعمار إلا أنها انقلبت اليوم لتعمل على تثبيت التجزئة وتقاوم الوحدة بنفس الحماس الذي كانت تدعو فيه لمقاومة الاستعمار . وهكذا إذ يظهر قيام الوحدة العربية المصغرة جانباً من أسباب مقاومة الشعبوية الشيوعية للوحدة فإنما يظهرها كذلك على حقيقتها ، حركة تعمل للانحياز ولكن بأسلوب مستنتر أبرع من أسلوب الاستعمار .

وهذه النواة الوجودية كما جاءت توفر الإمكانيات السياسية والمادية للابتعاد عن سياسة التبعية وتدعيم عدم الانحياز ، كذلك جاءت توفر الإمكانيات السياسية والمادية لنهوض مجتمع الوحدة من الفقر والجهل والمرض والتخلف وتقترب بلامح الحركة التقدمية في الوطن فقيام نواة الوحدة إذ جاء يخط الخطوة المسلكية الأولى في البناء الداخلي القائم على المساواة الاشتراكية والعدالة، فإنما جاء يقيم هذه التجربة على أسس قومية تنبثق من داخل الوطن العربي واحتياجاته وظروفه . والشعبوية الشيوعية بعد هذا الحدث تجد نفسها اليوم أمام وضع جديد بدأ ينشأ في الوطن فتجربة البناء الاقتصادي الاجتماعي لا بدّ وأن تسيير في طريق القضاء على التناقضات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يبرز تحتها الشعب وتسيير بالتالي نحو القضاء على أوضاع الظلم

والرجعية والتناقض التي تعتبرها الشعوبية الشيوعية الظروف المثلى للعمل ، والخطوة الأولى في الانقلاب الاجتماعي التقدمي تقوم على أسس قومية بعيدة عن مبادئ وتفسير الحركة الشعوبية الشيوعية وهي تتم بعد ذلك على يد فئات قومية واضحة المنطلق ، فما هو الدور الذي تلعبه الشعوبية الشيوعية في النهضة القومية والبناء الداخلي ؟ وبهذا تجد الشعوبية الشيوعية أن قيام الوحدة بهذه السمات والملامح قد بدأ يفقدها مبرر وجودها الاجتماعي فضلاً عن مبرر وجودها السياسي ، ذلك أن نشوء المجتمع السائر نحو الاشتراكية والعدالة سيكون بمثابة قطع الطريق على دعوتها والظروف المهيأة لانتشارها وتغلغلها.

وهنا أيضاً إذ يظهر قيام الوحدة العربية السائرة نحو البناء الاجتماعي التقدمي جانباً ثانياً من أسباب مقاومة الشعوبية الشيوعية للوحدة، فإنما ينزع عنها صفة التقدمية ويظهرها على حقيقتها حركة لا تجد حرجاً كبيراً في أن تدوس على تقدم الأمة في سبيل الحفاظ على مكاسبها الخاصة ، كما يظهر مفهومها الزائف للتقدمية الذي لا يجعل مقياسه مدى الاقتراب بالشعب من حياة العدالة والمساواة والانقلاب القومي الاجتماعي بل يبقى مفهوماً ظرفياً خاضعاً للأوضاع والتطورات السياسية.

بالإضافة إلى ذلك جاء قيام نواة الوحدة ليقوم أمام الاغتصاب الصهيوني جداراً ضخماً ويعيد لمعركة الجولة الثانية والشعبوية الشيوعية قد أيدت تقسيم فلسطين وقيام وطن قومي يهودي في أرضنا العربية لتمنع الاستقرار وتوجد حالة من الموازنة تبقى العرب ضعفاء بحاجة دائماً للاعتماد على قوة أجنبية لمجابهة الخطر الصهيوني .

فهي اليوم إذ تحارب الوحدة لهذا السبب من جملة الأسباب الأخرى فإنما ترى فيها في الواقع قضاء على البواعث التي دفعها لتأييد قيام ((إسرائيل)) هكذا جاء قيام نواة الوحدة ليثبت الأساس القومي للمعركة العربية بوجهها السياسي والاجتماعي ، ويقدم للنضال العربي الإمكانيات التي ستمكنه تدريجياً من الاستغناء عن الاعتماد على أية قوة أجنبية خارجة في كفاحه السياسي ونهوضه الداخلي ، ومن الاعداد الجدي لمواجهة الاغتصاب الصهيوني . وكان على الشعوبية الشيوعية في الوطن بعد هذا الحادث أن تختار واحداً من طريقتين:

إما أن تؤيد الوحدة وتساهم في تدعيمها وتثبيتها وتعمل بالتالي على تغيير نقطة انطلاقها ومخطط عملها ونظرتها الأساسية للمعركة القومية، وإما أن تحارب الوحدة.

واختارت الشعوبية الشيوعية الطريق الثاني . ولم تكن في هذا الاختيار لتشد في الواقع عن المواقف السابقة التي وقفت فيها ضد التحرر العربي.

هذه هي بواعث تحول موقف الشعوبية الشيوعية التي أدت إلى التقائها بالجبهة الاستعمارية ومصالحة الاغتصاب الصهيوني في تيار واحد . وقد أن لنا اليوم أن نفهم هذه الحركة على حقيقتها ونذكر قيمة الدور الذي تلعبه في معركتنا القومية بعد أن نجحت في ارتداء الدور الوطني في السنوات السابقة .

فنحن نختلف مع الشعوبية الشيوعية في المنطلق والأهداف والمقياس .

نحن نؤمن بالقومية العربية واقعاً حياتياً ومنطلقاً أساسياً للمعركة العربية وأهدافها القريبة والبعيدة ، وهي تؤمن بالقومية العربية شعاراً مرحلياً .

ونحن نؤمن بالكيان العربي الواحد المتحرر من الاستعمار والاحتصاب الصهيوني نتيجة حتمية لقوميتنا العربية الواحدة ، وشروط النهضة العربية والحركة التقدمية والمجتمع القومي الإنساني العادل، وهي تنظر إلى هذه الأهداف نظرة متحركة متغيرة على ضوء أهدافها ومبادئها الأممية الخاصة.

ونحن نعتبر مصلحة الأمة العليا المتمثلة بالأهداف السابقة هي مقياس سلامة وصحة وإنتاجية كل خطوة نضالية، وهي تعتبر مدى انسجام خطوات النضال العربي مع استراتيجية الحركة الشيوعية العالمية ومصالحها الحزبية الخاصة في هذا المقياس..

وما دمنا لا نتفق في نقطة الانطلاق ، ولا نلتقي في أهداف المعركة القومية ، ولا ننسجم في المقياس النضالي ، فمن الطبيعي أن تكون الحركة النضالية القومية والحركة الشعبية الشيوعية على طرفي نقيض، وأن يكون كل التقاء بينهما فضلاً عن أنه التقاء جزئي جانبي إنما هو التقاء مغشوش، وأن يكون كل تقرب تبديه الشعبية الشيوعية من حركة النضال القومي العربي هو تكتيك ظرفي له مبرراته وغاياته في مخططاتها السياسية الداخلية أو العالمية.

وكما جاء قيام نواة الوحدة ليظهر حركة النضال القومي من الشعبية الانفصالية الدخيلة عليها التي التصقت بها وتبنت الدعوى للوحدة وسيلة لاكتساب ثقة الشعب، كذلك جاء ليظهرها من الطفيليين الذين عاشوا يتاجرون بها ويدجلون باسمها ، بينما هم بحكم الدوافع الأنانية التي تسيروهم ، وبحكم ارتباطاتهم ومصالحهم ، غارقين في عقلية التجزئة وواقع الكيانات إلى ذقونهم هؤلاء الانتهازيون الذين طالما تغنوا بالوحدة العربية وعاهدوا الشعب على العمل لها ، لماذا انقلبوا اليوم يكافحونها بقوة بعد أن تجسدت عملياً في وحدة مصغرة؟

إن الانتهازية العربية تستوحي مواقفها السياسية من مصالحها الذاتية ومنافعها الشخصية ، وتتخذ دوماً من النفوذ السياسي ركيزة لحماية هذه المصالح وتنميتها ، لذلك فقد كانت تساير المد الشعبي حين ترى أنه الغالب ، وتبتعد عنه وتساير الاستعمار والرجعية الحاكمة حين ترى أن السيطرة لهما . ولهذا تأتي مواقفها متناقضة متغيرة من جهة ، ومترددة مائعة تفتقر إلى الحزم العقائدي والثبات النضالي ن جهة ثانية . ولكن هذه الانتهازية كانت تعرف دوماً أين تتجه مصالحها وفق الظروف السائدة ، لهذا كانت تحاول عدم إغضاب الفريقين . وتعمل على أن تمسك الخيط من طرفيه بما يحفظ لها خط الرجعة في حال تبدل الطرف السياسي النضالي السائد. وقد جاء قيام نواة الوحدة هنا أيضاً ليضع الانتهازية العربية المساومة على المحك الفعلي ، ويثبت أن الوحدة السليمة هي مقياس الإخلاص .

ففي مرحلة الكفاح التحرري لم يكن صعباً على الانتهازية العربية أن تتبرقع بوجه وطني وتتنبئ الدعوة للوحدة. ((أمل العرب الأكبر)) فالوحدة لا زالت فكرة في حيز الدعوة وبينهما وبين التحقيق مرحلة واسعة . وهي بتبنيها هذا المطلب الشعبي المقدس أن تخسر شيئاً ، فليس أسهل من إطلاق التصاريح وتدبيح الخطابات الرنانة حول الوحدة العربية . وقد نجحت هذه الانتهازية إلى حد ما في السابق في أن تظهر بمظهر المؤمنين الحقيقيين بالوحدة والداعيين لها فلم يكن سهلاً

على الشعب في تلك المرحلة أن يميز تمييزاً قاطعاً واضحاً بين الدعوات الوحدوية المخلصة والانتهازية الخادعة ، وطالما كانت الوحدة دعوة ، فالكل يريد الوحدة والكل يعمل لها . هذه الانتهازية العربية إذ كانت قد مالت للوقوف إلى جانب المد الشعبي التحرري في المدة الأخيرة بعد أن رأت كفته بدأت ترجح إلا أنها كانت تحرص دوماً أن يبقى التحرر تحرراً كيانياً بعيداً عن أية خطوة وحدوية سليمة ، وبهذا إذ كانت تتخذ من التغني بالوحدة سلماً للوصول إلى مراكز النفوذ ، فقد كانت تعود لتستعين بهذا النفوذ على تثبيت التجزئة حماية لمصالحها المرتبطة بها، وفي أحياناً أخرى إذ كانت تدرك أن الجبهة الاستعمارية الرجعية ستعمل على خلق أي خطوة وحدوية تصل حداً خطراً من الجدية والفعالية ، فقد كانت تترك لها هذه المهمة لتبقى محتفظة بالبرقع الوطني ، كما كانت تسرع لتمد لها يد المساعدة وتضع البرقع الوطني في خدمتها حين تدعو الحاجة .

بين هذه الانتهازية المساومة وحركة النضال القومي تناقض كان ولا بدّ أن يفضحه نمو الوعي القومي الشعبي من جهة وتجاوز الوحدة مرحلة الدعوة إلى تحقيق عملي من جهة ثانية، ذلك أن هذه الفئة تقيس كل انتصار نضالي وكل تبدل سياسي بمدى ما يعود عليها من فائدة شخصية أو تتأثر به مصالحها الخاصة فمقياسها هو مقياس شخصي بحث لا يمكن أن يلتقي مع المقياس القومي القائم على مصلحة المجموع والمصلحة القومية العامة للأمة واليوم إذ قامت الوحدة العربية المصغرة فلم تعد الوحدة خطابات وتصاريح، بل أصبحت واقعاً قائماً ، الإيمان بها تعبيره العملي الوحيد هو الانضمام لنواة الوحدة ، ولم تعد بيانات سياسية تدور في الوسط الرسمي بل خرجت إلى الشعب ، وهي بهذا تكون قد خرجت إلى النور فقد أصبح الشعب يعرف جيداً كيف يميز بين الإيمان بالوحدة والدجل باسمها . كما أن هذه الوحدة المصغرة كما تمثل اتجاهاً مخلصاً واضحاً في المعركة العربية قد حددت للعاملين باسمها حتمية الارتباط بهذا الاتجاه وقضت على إمكانية الاستمرار في سياسة الحلول الوسط والتنقل بين التيارات حسب إحياء المصالح الخاصة. وبهذا المصغرة قد وضع هؤلاء الوصوليين النفعيين أمام طريقتين : إما أن يؤيدوا الوحدة ويتخلوا عن عقلية المصالح والمنافع الخاصة ومراكز النفوذ المرتبطة بحدود الكيانات ، وإما أن يحاربوها ، وهكذا لم تكن مفاجأة أبداً أن يرى الشعب أثناء مباحثات وحدة مصر وسورية في صف معارضي الوحدة وجوهاً ((وطنية بارزة)) تستमित في وضع العراقيل أمام هذا الحدث القومي التاريخي، ولا أن يرى كيف انتقلت هذه الوجوه إلى صف التيار الانفصالي بعد قيام الوحدة .

إن هذه الفئة لا يمكن أبداً أن تسير نحو الوحدة إلا إذا وجدت فيها مصالحها الخاصة ، إلا أننا يجب أن نتوقع أن تلجأ الآن بعد قيام الوحدة إلى إجراء تلاؤم جديد مع الوضع الجديد يوفق بين ضغط الوعي القومي الوحدوي وبين اتخاذ مصالحها الشخصية ، والأشكال الوحدوية المائعة التي بدأت تقترح لتقابل الوحدة العربية المصغرة تحت ستار دعوات التعقل والتدرج هي مثال هذا التلاؤم الانتهازي الجديد المفضوح.

وهكذا وحد الموقف الانفصالي بين الشعبوية الشيوعية والانتهازية المصلحية في تيار واحد كل ببواعثه وغاياته الخاصة .

أما الجبهة الاستعمارية الرجعية فقد كانت دوماً منذ البداية في صف التيار الانفصالي ، بل هي القوة الدافعة والركيزة الأولية فيه . وهي إذ تحارب اليوم الوحدة العربية فهي لا تتخذ موقفاً جديداً وإنما يأتي موقفها استمراراً للقاعدة القديمة الذي سارت عليه منذ عشرات السنين في تدعيم تحكمها وتثبيت سيطرتها في الوطن العربي . فالجبهة الاستعمارية الرجعية التي تدرك جيداً أنه مذ كانت التجزئة طريق الاستعمار وتدرك بالمقابل أن الوحدة هي طريق الحرية ، وأنه مذ كانت التجزئة هي بؤرة التخلف الاقتصادي الاجتماعي ومعين الضعف السياسي والمادي ، تدرك ذلك بالمقابل أن الوحدة ستكون طريق النهوض والتقدم والقوة ، ولهذا إذ جاء التاريخ العربي يؤكد على مر السنين أن تاريخ التجزئة هو تاريخ الاستعمار والتحكم، والعكس صحيح، فإنما جاء يسجل كذلك أن تاريخ الاستعمار كان دوماً هجوماً مستمراً مستميتاً ضد الوحدة العربية. حاربها بتجزئة الأرض العربية الواحدة ، وتثبيت الكيانات وتجزئة الاقتصاد العربي وتجزئة النظم الثقافية، وحاربها بسياسة مرسومة لخلق وتغذية النعرات الإقليمية والعصبيات الطائفية والمذهبية والنزعات العنصرية، وحاربها بخلق ودعم الاتجاهات الإقليمية والشعبية المصطنعة لتهديم مفهوم وحدة الأمة ، وحاربها بالقوة المسلحة بالعنوان العسكري الثلاثي على مصر أثناء المباحثات الأولى لتحقيق وحدة مصر وسورية ، وحاربها بعمل متواصل لتشيويه فكرتها وتمييع دعوتها بإقامة نماذج ممسوخة عنها كما جاءت جامعة الدول العربية والاتحاد الهاشمي قبل ثورة العراق، ومجموعة الإتحادات الفدرالية الكاذبة في المغرب العربي والجنوب العربي .

وهذه الجبهة الاستعمارية الرجعية إذ تحارب الوحدة العربية المصغرة اليوم ، فإنما تحارب فيها تلك الوحدة العربية بكل شمولها واتساعها وبكل معانيها ونتائجها وبكل ملامحها وسماتها.

تحارب فيها كونها القلعة الراسخة لمعركة التحرير والتوحيد التي ستقضي على مصالحها ومعاقلها في الوطن ، والمرتكز الذي سيوحد النضال العربي تدريجياً في جهة واحدة متماسكة تقضي على تقطع النضال العربي في ظل التقسيمات الشاذة التي فرضت عليه .

وتحارب فيها كونها نواة الحركة التقدمية في الوطن التي ستقضي على معاقل الرجعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتسير نحو إقامة نظام اشتراكي عادل يساهم في معركة القضاء على تحكم النظام الرأسمالي.

وتحارب فيها كونها نواة المجتمع الصناعي الذي سيقضي على آمالها في إبقاء الوطن العربي سوقاً استهلاكية ومنبعاً للمادة الأولية ومصدراً للعملة الأجنبية ..

وتحارب فيها كونها نمطاً جديداً من القيادة سيقضي تدريجياً على ضعف وانتهازية وخيانة القيادات السابقة.

ومن البديهي أن يحارب الاغتصاب الصهيوني الوحدة لنفس هذه الأسباب ، بل أن يعتبر معركته معها معركة وجود ، فهذا الاغتصاب الذي ولدته التجزئة لا بد أن تقضي عليه الوحدة .

وهكذا وقفت الجبهة الإستعمارية الرجعية والاعتصاب الصهيوني جنباً إلى جنب مع الشعبوية الشيوعية والانتهازية المصلحية في تيار الانفصال المعادي للوحدة .

وهذا هو التركيب الجديد للقوى الذي تمخض عن قيام النواة الأولى للوحدة العربية فالشعبوية الشيوعية تقدم للانتهازية المصلحية قاعدتها بعد أن فقدت الرصيد الذي كان يدعمها نتيجة تخليها عن الأهداف التي كانت تنادي بها ، والجبهة الاستعمارية الرجعية تتناسى عداها للشعبوية الشيوعية لتفسح لها مجال العمل على محاربة الوحدة.

وإذ وجد هذا التيار نفسه معزولاً عن الشعب بموقفه الانفصالي الذي يصل حد الخيانة القومية ، كان لا بدّ وأن يلجأ إلى وضع تفسير نظري لهذا الموقف . ورغم أن هذا التفسير قد جاء محاولة فاشلة لفلسفة الانحراف الخطير الذي يقوم عليه هذا التيار تجاه معركتنا القومية، إلا أن توضيح الزيف الكبير الذي ينطوي عليه له أهمية خاصة في هذه المرحلة الأولى من قيام الوحدة.

ليس هناك إلا اتجاه واحد للقومية العربية

والوحدة العربية والمركة العربية

هذا التحول الثاني الذي تمخض عن قيام النواة الأولى للوحدة هو جملة المفاهيم والشعارات الجديدة التي بدأ يلقيها أعداء الوحدة في ساحة التوجيه السياسي والعقائدي للمركة العربية محاولين وضع منطلقات جديدة زائفة لها .

اتجاه واحد للقومية العربية

المنطلق الجديد الأول للقومية العربية هو ذلك الذي طلع به الاستعمار والذي جاء يمثل جزءاً من المخطط الاستعماري الجديد بعد قيام نواة الوحدة . فبعد أن فرضت الحقيقة القومية العربية وجودها وعبرت عن نفسها تعبيراً أولياً بتحقيق وحدة مصر وسورية ، وبهذا التيار القومي الجارف الذي يلهب معركة التحرر العربي في الوطن وجد الاستعمار أن الاستمرار في مهاجمة القومية العربية بشكل علني مفضوح لن يكون نتيجته إلا زيادة الحقد الشعبي على الاستعمار ، وكان لا بدّ من أسلوب جديد ووجد الاستعمار هذا الأسلوب في محاولة إيجاد اتجاه جديد للقومية العربية. فالاستعمار ((يعترف)) بالقومية العربية ولكنه يفرق بين اتجاهين : اتجاه قومي عربي ((متطرف)) يتمثل بالمبادئ والأهداف التي تغذيها الجمهورية العربية المتحدة ، واتجاه قومي عربي ((معتدل)) وبدأ الاستعمار محاولة تمويه فاشلة لتغذية هذا الاتجاه الثاني ، فهو يعادي الاتجاه المتطرف ولكنه يؤيد الاتجاه المعتدل ويعتبر أهدافه أهدافاً مشروعة .

إن القومية العربية الواحدة تقوم على أساس وحدة الوجود القومي للعرب أي أنها تستلزم وحدة الأمة العربية في دولة واحدة ، وإذ تعتبر الوطن العربي كلاً لا يتجزأ فهي تعتبر النضال القومي لتحريره وتوحيده هو أيضاً وحدة لا تتجزأ ، أي أنها لا تعترف بالسيادة الكيانية المصطنعة والنضال الإقليمي ، وتقوم على الاستقلال في الشخصية القومية ضمن إطار التعاون مع الأمم الأخرى ، أي أنها تستلزم رفض الارتباطات الأجنبية التي تدخل الأمة في مناطق النفوذ وتقضي على حقها في تقرير المصير أيأ كان مصدرها . والقومية العربية بعد ذلك بالفكرة التي تتضمنها في هذه المرحلة من حياة العرب هي حركة تقدمية إيجابية ذات مضمون عادل غير انقلابي في داخل مجتمعها ، ومحتوً إنساني عميق في مجال التعايش القومي السلمي والتفاعل البناء بين الأمم.

منشورات حركة القوميين العرب

هذه هي القومية العربية بمسلماتها البديهية .

هذه هي القومية العربية بمسلماتها البديهية وفكرتها العامة فالاتجاه القومي الذي يحاول الاستعمار اليوم ابتداعه بعد أن فرض الاتجاه الطبيعي السليم نفسه ، لا يمكن أن يعني في هذه الحالة إلا اتجاهاً مناقضاً لذلك ، إلا اتجاهاً يكرس التجزئة والكيانات والحدود ، ويمجد الأحلاف والارتباطات الأجنبية ويقضي على وجود الأمة المتميز وحققها في تقرير المصير، ويقوم في فكرته العامة على اتجاه رجعي ، وهذا المنطق الجديد للقومية العربية الذي يحاول الاستعمار تغذيته إنما يمثل قمة الانحراف القومي فليس هناك إلا اتجاه قومي عربي واحد ، ليس هناك اتجاه متطرف واتجاه معتدل ، وإنما هناك اتجاه طبيعي سليم واتجاه منحرف خاطئ ، ولا نحتاج إلى الكثير من التفكير في الواقع لكي ندرك أن الاتجاه الذي يريد الاستعمار تثبيته بعد قيام الوحدة العربية المصغرة بصفاتها المميزة ، هو هذه النماذج في الاتجاهات السياسية التي يمثلها بورقبيية وحسين وغيرهم..

والمنطلق الزائف الثاني للقومية العربية هو الذي تحاول أن تروجه الشعوبية الشيوعية ومؤداه أن القومية العربية لا تعني الوحدة العربية بالضرورة .

فالشعوبية الشيوعية تعترف بوجود قومية عربية واحدة ، ولكنها تقف عائناً أمام تجسيدها عملياً في مجتمع قومي واحد

فماذا تفسر هذا التناقض الغريب الذي يصل إلى حد السخف ؟

الواقع أن هذا المنطلق الذي تحاول الحركة الشعوبية الشيوعية إلباسه عبئاً للقومية العربية ليس غريباً عن هذه الحركة بل هو على العكس منسجم كل الانسجام مع فهمها الشعبي الماركسي للقومية. فالشعوبية الشيوعية التي تعتبر القومية العربية مجرد ((رابطة ثقافية)) ((ومجرد لقاء بين شعوب على مصلحة الكفاح المشترك)) لا يمكن أن تتسجم مع الفهم القومي الذي يعتبرها وحدة اجتماعية تاريخية ، وواقعاً حياتياً واحداً للأمة العربية الواحدة يشمل الوطن العربي بأسره والحياة العربية بمختلف جوانبها . وهي إن كانت حققت بعض النجاح في إخفاء مفهومها الحقيقي للقومية العربية والوحدة العربية مرحلة الكفاح التحرري قبل أن تتجسد القومية العربية تجسيدها السياسي الأولي، فقد جاء قيام الجمهورية العربية المصغرة اليوم ليضع قاطعاً لهذا التمويه الفكري الذي يصل إلى حد الدجل .

وهكذا ينتهي هذا المنطلق الشعبي الشيوعي في تفسير القومية العربية إلى نفس المنطلق الاستعماري الرجعي فكما يهدف الاستعمار من محاولة إيجاد ((قومية متطرفة)) ((وقومية معتدلة)) إلى فصل الاتجاه القومي العربي السليم عن الوحدة العربية والتحرر العربي وأهداف الأمة عامة ، كذلك تهدف الشعوبية الشيوعية من محاولة فصل القومية العربية عن الوحدة إلى تجريد القومية العربية من محتواها العملي ، وهي بذلك فضلاً عن أنها تهدف إلى جعلها دعوة نظرية مجردة ، إنما تقف مع الاستعمار في عمل مستमित لتكريس التجزئة وتعميقها .

فما هو هدف الاستعمار من ابتداع اتجاه جديد في القومية العربية ؟ وما هو هدف الشعوبية الشيوعية في محاولة اختلاق مفهوم جديد لها؟

إن الوحدة هي هذا الهدف: فهم إذ يدركون أن القومية العربية هي وحدة قبل كل شيء فإنما يأملون من محاولة إيجاد منطلق زائف خاطئ للقومية العربية . أن يصلوا لإيجاد منطلق زائف خاطئ للوحدة . إنهم في الواقع يخشون في القومية العربية مدلولاتها العملية وإذ يحاولون طمس هذه المدلولات العملية التي تشكل الوحدة فيها العمود الفقري ونقطة الارتكاز.

اتجاه واحد للوحدة العربية :

فإلى أين يسيرون بالوحدة بهذا المنطلق الجديد وبهذا الاتجاه الذي يدفعونها فيه ؟

إن الاتجاه الوحيد الذي يعبر فعلاً عن الوحدة بعمقها وكليتها وشمولها هو ذلك الذي تتجسد فيه الأمة العربية الواحدة في دولة واحدة توجهها سلطة واحدة وأنظمة حياتية واحدة تنظمها أمة واحدة .

وأى شكل آخر للوحدة لا يقوم على وحدة الدولة والسلطة والأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية إنما هو حتماً تعبير ناقص عن وحدة الأمة. واليوم إذ جاء قيام نواة الوحدة العربية على هذه الأسس يمثل النموذج الطبيعي والوجه الصافي للوحدة ، فقد حدد أنها الطريق الوحيد للوحدة العربية ، وجعل الإيمان بالوحدة هو الانضمام لهذه الوحدة المصغرة حتى تتكامل في وحدة شاملة . فأى اتجاه وأي منطلق وأية عملية توحيد تتم بعد اليوم خارج نطاقها وتبرر لنفسها أن تبقى معزولة عنها إنما هي بالحقيقة عملية مغرضة مفضوحة ليس الهدف منها إلا محاربة الوحدة وتكريس التجزئة وتثبيت ((شرعية)) الكيانات الزائفة والسيادة الإقليمية المصطنعة .

وهذا هو بالضبط ما يعمل له الاستعمار والشعوبية الشيوعية من وراء اختلاق منطلق جديد للوحدة . وهذا الاتجاه في أحسن حالاته هو انحدار بالوحدة العربية ورجوع بالنضال القومي الحدودي إلى أشكال وحدوية مائعة ((كالتضامن)) و ((التعاون)) و ((التنسيق)) ((والاتحادات الواهية)) وهكذا تتحول الوحدة التي نريد حياة واحدة متفاعلة ممتزجة إلى حياة التقسيمات الشاذة المصطنعة والتقطعات التي تمتص حيوية الأمة . وما كان يمكن في الواقع للاستعمار إلا أن يقف هذا الموقف، فهو الذي عاش في ظلام جدران التجزئة لا يمكن أن يحيا في نور الوحدة . كما أنه ما كان يمكن إلا أن تصل الشعوبية الشيوعية إلى هذا الفهم المشوه للوحدة، فهي التي تنطلق من اعتبار القومية العربية مجرد رابطة ثقافية ومجرد التقاء في الكفاح ضد الاستعمار ، لا يمكن أن تنتهي إلى تقليص الوحدة لتضامن وتعاون وتنسيق ، كما ولا بدّ أن تنتهي غالبية الانتهازية المصلحية بقصد التوفيق بين ارتباطاتها الكيانية والكسب الشعبي إلى مثل هذا المفهوم الشاذ المبتور.

هكذا أيضاً ينتهي منطق معركتنا القومية إلى أن الإيمان الأصيل بالقومية العربية لا بدّ وأن يؤدي إلى الوحدة . وأنه حيث يكون ادعاء الإيمان بالقومية تكتيكاً ظرفياً فلا بدّ وأن يكون الإيمان بالوحدة تلاؤماً مرحلياً ، وهكذا وضع منطق المعركة السليم القوميين الأصليين في طريق الوحدة بشكل طبيعي تلقائي ، ووضع الشعبويين والانتهازيين فضلاً عن الاستعمار في طريق التجزئة.

وأنه حيث يقترن التحرر في أي جزء عربي بالإخلاص لهذه الأمة فلا بدّ أن يؤدي التحرر إلى الوحدة، وحيث يبقى ((التحرر)) واقعاً تحت تأثير التيارات الانتهازية أو الشعبوية أو الرجعية فلا بدّ وأن يبقى تحرر إقليمياً يكرس التجزئة .

هكذا وجد المسؤولون في مصر أنفسهم يسبرون في طريق الوحدة ، ودفع الوعي الشعبي المسؤولين في سوريا في هذا الطريق، بينما تشبث بعض المسؤولين في العراق بالتحرر الكياني وكذلك في أجزاء أخرى .

وبهذا يحدد منطق معركتنا القومية بعد التطورات الأخيرة أنه لا بدّ للشعب العربي في نضاله من أجل الوحدة أن يكافح ليتحرر من سيطرة النزعات الشعبوية الشيوعية والانتهازية والرجعية كما يكافح ليتحرر من سيطرة الاستعمار.

لقد أن لنا اليوم أن نفضح المغالطة الشنيعة المغرضة الكامنة وراء محاولة الشعبوية الشيوعية والانتهازية المصلحية ادعاء الإيمان بالوحدة بنفس الوقت الذي تحاربان فيه نواتها الأولى، فإن الوعي القومي قد وصل حدّاً لم يعد يقبل معه هذا التناقض المغرض، فمذ قامت نواة الوحدة لتعطي الصورة السليمة عنها وتخط الطريق للوحدة الكاملة ، لم نعد مخيرين في إيماننا بالوحدة بين الانضمام لنواة الوحدة أو إتباع طريق آخر ، وإنما بين الانضمام لنواة الوحدة أو اختيار التجزئة ، فأني تبرير يمكن أن يعطيه هؤلاء بعد اليوم بمحاولة الظهور بمظهر من يؤمن بالمبدأ لكنه يختلف في الأسلوب والطريق الموصل إليه ؟ وأي تفسير يقدمونه لمحاربتهم للوحدة باسم ((وجهات النظر)) و ((الاجتهادات)) ؟

إن أخطر ما يمكن أن يصيب قضيتنا القومية هو أن يصبح تحقيق الوحدة فيه مجال نقاش . ذلك أن أخطر ما يمكن أن يصيب أمة هو أن يكون وجودها مجال نقاش ، وأن يكون شرط بقائها في مستوى الأمور التي يمكن أن يكون فيها وجهات نظر متعددة . إن مجرد محاولة طرح موضوع الوحدة من هذه الزاوية هو بحد ذاته انحراف قومي خطير ليس الهدف منه إلا بلبلة فكرة الوحدة في أذهان المواطنين.

إلى سنوات قليلة حين كان الشعب العربي في معظم أنحاء الوطن يخوض معركة عنيفة ضد الأحلاف والارتباطات الأجنبية ، ويقاقل لتثبيت شخصيته القومية المستقلة وتدعيم مبدأ عدم الانحياز ، كانت أبواب الجبهة الاستعمارية الرجعية تحاول أن تفسف الارتباط بعجلة الاستعمار بأن القضية قضية اجتهادات ((ومدارس سياسية)) وإن كانت تختلف في أسلوب العمل إلا أنها تلتقي في هدف واحد هو اختيار الأسلوب الأفضل للنهوض بالشعب العربي وتحقيق أهدافه !! وهكذا جاء حلف بغداد نتيجة اجتهاد مدرسة سياسية لما فيه خير الأمة العربية وهكذا جاءت أنصاف الحلول والمساومة التي طعم بها بورقبيبة النضال العربي في الجزائر وهكذا برر الحكام المنحرفون أسباب تأييدهم لمبدأ أيزنهوور !.

هذه الدعوات التي أطلقت لتبرير عمليات قطع أنفاس التحرر العربي تعود اليوم أيضاً تحت ستار ((الأسلوب الأفضل)) و ((الاجتهادات)) لتبرير عملية قطع أنفاس نضال الوحدة العربية فكما كان جميعهم متفقين على مبدأ طرد الاستعمار وتحرير الوطن العربي ولكنهم يختلفون في أسلوب العمل لتحقيق الحرية كذلك هم اليوم جميعهم متفقون على الوحدة من حيث المبدأ كلهم مؤمنون بها ، ولكنهم يختلفون في اختيار الأسلوب الأمثل والطريق الأفضل للوصول للوحدة !

باسم التحرر من الاستعمار ومجابهة ((إسرائيل)) تمسكت المدارس السياسية لحلف بغداد وتجزئة النضال في المغرب العربي ومبدأ أيزنهاور والمساعدات المشروطة ، تمسكت بالاستعمار السند الأكبر ((إسرائيل)).

وباسم الوحدة والقضاء على التجزئة تتمسك الجبهة الاستعمارية الرجعية والشعوبية الشيوعية والانتهازية المصلحية ، بالتجزئة تحت ستار الأسلوب الأفضل .

وإلى ماذا انتهى هذا الأسلوب الأفضل لتحقيق الوحدة بنظر هؤلاء ؟ في الحالات التي لم يكرس فيها التجزئة بكل مظاهرها وجذورها ، انتهى إلى مسخ الوحدة إلى تضامن وتعاون وتنسيق واتفاقيات ! وهكذا يريدون.

الاستعمار الذي حارب الوحدة بشراسة متناهية وبكل الوسائل الممكنة من أولى الدرجات حتى الاعتداء المسلح ، والشعوبية الشيوعية التي تغنت بالوحدة ثم تركتها إلى الاتحاد الفدرالي ثم تركته إلى التعاون والتنسيق .. والانتهازية المصلحية التي تاجرت باسمها طيلة هذه السنوات ..

أن نحارب الوحدة باسم مفهوم مغلوطة كاذب للديمقراطية ، نراه نحن اليوم أمامنا في حملات الإرهاب التي تشنها الشعوبية الشيوعية في العراق ، والاستبداد الأسود الذي تمارسه الرجعية في بعض أجزاء الوطن ، والمجازر البشعة التي شهدتها ويشهدها حتى الآن كفاحنا الدامي على يد الاستعمار.

وأن نكرس التجزئة في الوطن الواحد باسم ((الظروف الموضوعية)) و ((الأوضاع المحلية)) .. وأن نثبت ((شرعية)) الحدود المصطنعة شرعية أن تعيش الأمة العربية ((مجموعة أمم)) باسم ((السيادة والاستقلال)) .

وأن نتناسى كلياً وحدتنا القومية باسم ((التعقل ، والتدرج والدراسات العلمية المطولة)) ..

إن الخداع الكبير والانحراف العميق الكامن في كل هذه الدعوات لم يتضح يوماً لكل مواطن ذي عينين قدر وضوحه اليوم.

حين تكون القضية قضية اجتهاد بين أن نحيا في دولة واحدة أو نبقي في واقع التجزئة والضعف، وأن نحيا الأمة في وضعها الطبيعي أو تبقى في هذا الواقع الشاذ ، بين أن نمثل القوة السياسية والاقتصادية التي تدعم حريتنا ، وبين أن نبقي مهددين بالوقوع في مناطق النفوذ، بين أن نتحقق النهضة العربية بكل شمولها أو نبقي في حياة التخلف والاستغلال والضعف بين أن نكون أمة حية فاعلة في الحياة الإنسانية أو نبقي أمة تجتر حياتها على هامش التاريخ ضمن حدود الدويلات العربية ..

حين تتضح القضية على أنها اجتهاد بين هذه وتلك، فلا تعود هذه الدعوات والاجتهادات إلا ستاراً للانحراف الذي يصل حد الخيانة القومية والتآمر الصريح على مصير الأمة

طريق واحد للمعركة العربية

بالإضافة إلى محاولة اصطناع منطلق جديد للقومية العربية بفضلها عن الوحدة المصغرة المتمثلة بالجمهورية المتحدة وينكمش بها إلى مستوى التضامن والتنسيق بدأ التيار الانفصالي يحاول اختلاق اتجاه جديد لسير المعركة العربية لإبعاد الوحدة عن أذهان المواطنين ، ويلخص هذا الاتجاه أن الأجزاء العربية يجب أن تتفرغ للنهوض بالشعب أولاً ثم تفكر بالوحدة فيما بعد!

وهكذا فجأة أصبح الاستعمار الذي يحكم بالحديد والنار لامتناص ثرواتنا واستنزاف مواردنا واحتكار المواد الأولية والاحراق في الوطن ويعمل بكل وسيلة لإبقائنا في واقع الفقر والجهل والتخلف، فجأة احتضن هذا الاستعمار النهضة العربية وأصبح من أغلى دعواتها ! وراحت إذاعاته وصحفه بالإضافة إلى صحف ((إسرائيل)) تحاول أن تصور أن هناك اتجاهين لسير المعركة العربية :

اتجاه يعمل على التفرغ للنهضة الداخلية في الأجزاء العربية ويستبعد التفكير بالوحدة العربية لانشغاله بالبناء الداخلي .

واتجاه ينصرف للعمل للوحدة بغض النظر عن الأوضاع الداخلية.

وكان قصد الاستعمار من هذه الدعوة الجديدة أمرين رئيسيين : كان يهدف أولاً إلى إعطاء نوعاً من التبرير للمسؤولين في الأجزاء العربية الذين لا زالوا يتمسكون بالتجزئة وواقع الكيانات بعد أن قامت النواة الأولى للوحدة العربية . فقبل قيام هذه النواة الوجودية لم يكن المسؤولون في الأجزاء العربية المتحررة يشعرون أنهم مطالبون _ بإلحاح شديد _ بتبرير تمسكهم بالتجزئة طالما أن التجزئة كانت هي الواقع العام لكل الوطن العربي. أما اليوم وبعد أن قامت أولى مراحل الوحدة فقد أصبح لا بدّ من تبرير يعطيه هؤلاء منصرفون الآن إلى النهوض بالشعب في تلك الأجزاء فلا مجال للتفكير بالوحدة أو الانضمام لنواتها التي قامت! كان هذا الهدف الأول، وكان الهدف الثاني هو محاولة إبهام الشعب أن هناك تعارضاً بين الوحدة والعمل للوحدة وبين النهضة الداخلية ، فما زالت بعض الأجزاء العربية ((المتحررة)) منشغلة بالبناء الداخلي ، فكيف تفكر بالانضمام للوحدة العربية المصغرة؟

وانضمت الشعوبية الشيوعية والانتهازية المصلحية إلى هذا التضليل الاستعماري الصهيوني في محاربة الوحدة العربية إن هذا الاتجاه الجديد الذي يحاول أعداء الوحدة هنا أيضاً إلباسه للمعركة العربية كما جاء محاولة مفضوحة لتبرير التمسك بحدود التجزئة بعد قيام الوحدة المصغرة الدليل العملي الملموس اليوم.

لقد جاءت هذه التجربة القصيرة لنواة الوحدة لتثبت بالدليل العملي بعد أن كان واضحاً على الصعيد النظري، إن الوحدة العربية هي الطريق الوحيد للنهضة العربية ، والوسط الوحيد الذي يمكن أن تتوفر فيه مقومات البناء الاقتصادي الاجتماعي الشامل، إن أي إمام بسيط بمبادئ الاقتصاد ومقتضيات عملية البناء الداخلي ، ومستلزمات إقامة نظام اشتراكي وخلق مجتمع

صناعي يظهر بوضوح أن الوحدة هي التي توفر الاستقرار السياسي ، والإمكانات الاقتصادية، والبيئية ، والاجتماعية التي تمد النهضة بالحياة ، وإن في ظل التجزئة حيث يفقد الاستقرار السياسي ، وتتقلص الإمكانات الاقتصادية ، وتسود بيئة اجتماعية شاذة تحاول أن تجعل من كل جزئ دولة لها مقوماتها ، لا بدّ وأن يتحول الانقلاب السياسي الاجتماعي الاقتصادي ، إلى إصلاح تطوري بطيئ يبقى دوماً على السطح من أن يحقق انقلاباً في واقعنا الحالي ، لا نحتاج في الواقع إلى أي شرح لإيضاح كون الوحدة أساس النهضة العربية ، والتجزئة بؤرة التخلف والضعف .

إن النهضة اليوم عملية تتجسد أمامنا عملياً ، لقد بدأت تأخذ طريقها للتكامل في الوحدة العربية المصغرة، بينما يتجسد أمامنا الضعف والفقر في الأجزاء التي تعيش في واقع الكيانات . وهذه التجربة العملية التي تفصح للشعب اليوم الدجل الكبير الذي يحاول أن يصور إمكانية قيام أي نهضة فعلية في واقع التجزئة، هي نفسها التي تفصح الدليل الذي يحاول أن يظهر الوحدة بمظهر التعارض مع النهضة ، وبعد فلقد أن لنا أن نضع المفهوم الصحيح للنهضة العربية بمعناه الشامل العميق. إن النهضة في ظل واقع التجزئة والكيانات هي إما إصلاحات سطحية جزئية وإما إصلاحات معتمدة إعتياداً كلياً على المساعدات الخارجية ، فضلاً عن أنها إصلاحات إقليمية محلية لا يمكن أن تحتوي النهضة العربية بكل شمولها وعمقها، ونحن فضلاً عن أننا نحتم أن الوحدة هي طريق النهضة وأساسها علمياً وعملياً ، فإنما نبحت عن نهضة قومية جذرية لا إصلاحات محلية وعن نهضة شاملة لكل الوطن العربي .

إما أن تكون نهضتنا قومية أو لا تكون . إما أن تعمل لتشمل الشعب العربي بأسره أو تسجن نفسها في جدران التجزئة التي تجردها من أهم عناصر الاستمرار والنمو ، وإما أن تكون نابعة من ذاتنا وواقعنا واحتياجاتنا ومعتمدة غالباً على إمكانياتنا وطاقاتنا مع الافادة الواعية من تجارب الأمم الأخرى ومعونتها الشريفة ، وتكون تقليدياً أعمى إعتياداً كلياً على المساعدات ، ونحن لا نؤمن أبداً بالنهضة من الخارج ، لا نؤمن أن تقوم نهضتنا في كليتها على المساعدات والقروض وهبات الغير ، نحن نفهم المساعدات غير المشروطة عملية أخذ وعطاء تمثل وجهاً من وجوه التعايش القومي السلمي ولكننا لا نفهم أبداً أن نحلم ببناء نهضة جذرية ، بتحقيق انقلاب عميق مستمر في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية استناداً إلى المساعدات والقروض الخارجية في غالبيتها . وأين تتوفر إمكانيات النهضة في ظل التجزئة التي تفتت الثروة العربية وتمزق الموارد العربية؟ وهل نأمل نحن أن يقوم أي تصنيع جدي أو نهوض اقتصادي عميق في أي من الكيانات الحالية استناداً إلى إمكانيات هذه الأجزاء ؟

ونحن نفهم النهضة القومية من جانب آخر قومية شاملة لمختلف مناحي الحياة العربية، نفهمها نهضة مفاهيم ومبادئ ، نهضة العقل العربي والنفس العربية والوجدان العربي فضلاً عن النهضة السياسية والاقتصادية ، نفهمها نهضة تطور قومي حضاري ، ولا نفهم أن تقوم مثل هذه النهضة إلا على انفتاح الشعب العربي بعضه على بعض انفتاحاً متمازجاً متفاعلاً لأننا نؤمن أن مثل هذه النهضة لا تتم إلا في وسط موحد تذوب في حرارته كل النزعات المحلية وترسبات الحواجز ، ولا نفهم أن تتفتح الأمة العربية وتمتلك القوة الضخمة الدافعة للتطور إلا في مجرى قومي عربي واحد ينتشل العقل العربي والنفس العربية والإمكانات والثروات العربية من واقع البيئات المحلية التي عمقت فيها جذور التجزئة عمداً سنوات وسنوات طويلة في التربة الواحدة ، في الوسط

الواحد في البيئة الواحدة ، في الوحدة العربية يمكن فقط أن نتحدث عن نهضة قومية جذرية فعلية ، لا في ضعف الكيانات وتنافرها كما يريد الاستعمار ، ولا من خلال ثقب ضيقة تفتحها في جدران التجزئة تحت أسماء ((التضامن)) و ((التعاون)) و ((التنسيق)) كما تريد الشعوبية الشيوعية والانتهازية المصلحية

هكذا كانت الوحدة وستبقى دائماً حين تقترن بالوعي والإخلاص : حركة تقدمية تتجه نحو الأمام يبطنها انقلاب قومي سياسي واجتماعي عميق ، وإذ أثبتت تجربة نواة الوحدة أن الوحدة العربية هي الشرط اللازم لكل نهضة جذرية حقيقية فأى دعوى تتغنى بالنهضة في ظل التجزئة اليوم إنما هي بالحتمية واحد من أمرين: إما دعوى نظرية خيالية تقرب السذاجة فيها لأن تصبح جهلاً لا تقبله العلمية التي يجب أن يتصف بها النضال العربي ، وإما دعوة مغرصة ليس التغني بالنهضة فيها إلا ستاراً كاذباً لتثبيت التجزئة بقصد الوصول إلى منافع شخصية انتهازية أو مكاسب حزبية شعوبية أو امتيازات استعمارية رجعية وهكذا ينقلب أعداء الوحدة بحكم موقفهم ليصبحوا أعداء النهضة العربية كذلك .

ومذ كانت الوحدة تحتل هذا الموضع بمعركتنا القومية وتلعب فيها هذا الدور الرئيسي، مذ أصبحت في مركز الثقل في معركة التحرر والوحدة والقضاء على الاغتصاب الصهيوني والنمو الشامل ، فقد أصبح أعداء الوحدة بحكم هذا الموقف هم أعداء المعركة القومية بكل إتساعها وشمولها .

* * * * *

إن هذه التحولات التي أحدثتها قيام الوحدة العربية المصغرة في معركتنا القومية ، سواء في اختلاف تركيب القوى والتقاء الاستعمار بالشعوبية الشيوعية والانتهازية المصلحية ، أو في هذه المنطلقات والمفاهيم الزائفة التي يحاولون إلباسها للمعركة العربية، إنما هي في الواقع لصالح المعركة فهي كفيلة ، بأن تزيل الترسبات الهامشية الزائفة التي علقت بالخط القومي الصحيح ، ومن خلال النضال العملي الذي هو وحده محك الإخلاص تتضح لجماهير الشعب يوماً فيوم الأسس السليمة لمعركتها القومية ، فما كانت هذه التغيرات والاتجاهات إلا لتعمق الاتجاه السليم وتعري الفئات والحركات العاملة لتظهرها للشعب من خلال المعركة على حقيقتها وتزيل تدريجياً كل الدعوات التي لا تتبع من أصالة الواقع والاتجاهات التي لا تتسجم مع متطلباته ولا تعبر في أهدافها ومواقفها عن اتجاه حركة التطور القومي العربي التاريخي ، أمة واحدة في دولة واحدة .

الوحدة مسؤولة تاريخية

هذه المعاني الثورية العميقة الكامنة في نواة الوحدة والتي تتخذ مداها الممتد في الوحدة العربية الشاملة إن كانت تدل على شئى فعلى قيمة هذا النصر القومي التاريخي الذي حققه النضال العربي بإقامة الجمهورية العربية المتحدة وقد كان عظم المسؤولية يتناسب دوماً مع عظمة الحدث ومعنى النصر . لذلك نحتاج في هذه المرحلة أكثر من أي وقت مضى إلى تفهم عميق وتذكر جدي فاعل لمسؤوليتنا في هذه الفترة .

إن كانت هذه القفزة الوجودية الأولى قد حددت أولى مراحل انتقال الوحدة من حيز الدعوة إلى حيز التجسيد العملي ، إلا أنها كذلك تحدد واجباً كبيراً في الدعوة للوحدة العربية واجباً كبيراً في تعميق الوحدة إيماناً يجب أن يتشربه المواطن العربي منذ نشأته الأولى ، إيماناً يمتزج بأعمق مشاعره وأحاسيسه وخلجاته وفي بلورتها فكرة موجهة يجب أن تتفاعل بعقليته وتفكيره، فكرة موجهة واعية يتجنب بها الدعوات الخيالية التي تعمل لحمله على تخطي وجوده إلى انفلاشات عالمية وهمية ، أو تقليصه إلى انغلاقات إقليمية مصطنعة ويتجنب بها الوقوع تحت تأثير الشعارات والتوجيهات السياسية الاستعمارية الرجعية أو الشعبوية أو الانتهازية . وتعميق دعوتها نضالاً عملياً هادفاً ، لأن الإيمان الذي يعبر عن نفسه تعبيراً عملياً إن لم يكن اتجاهاً مغرضاً فهو نزعة إن كان فيها بعض الطيبة إلا أن فيها كثيراً من السلبية ولأن في حرارة هذا النضال العملي من أجل الوحدة تخوض المعركة القومية غالبية جماهير الشعب العربي يجمعها هدف واحد وغاية واحدة، ومثل هذا النضال فضلاً عن أنه يصهر الشعب العربي في تجربة واحدة فإنه هو وحده القادر على تحقيق النتائج العملية الحاسمة ، هذه المسؤولية مسؤولية تعميق دعوة الوحدة إيماناً وفكرة موجهة ونضالاً عملياً ، إنما هي مسؤولية ألقاها التاريخ على عاتق كافة الفئات والحركات القومية المخلصة وليست مسؤولية نواة الوحدة فحسب .

ونحن اليوم في هذه المرحلة الأولى من مراحل الوحدة مطالبون أكثر من أي وقت مضى بعمل جدي مخلص لتعميق الوعي القومي في نفوس جماهير الشعب . إن النواة الأولى للوحدة رغم المكاسب الكبيرة التي حققتها لا زالت في الخطوات الأولى من الطريق ، ففي معركتنا القومية السياسية لا زال أمامنا شوط كبير في معركة التحرر العربي حتى نطهر الوطن من آخر أثر من آثار الاستعمار ، ولا زال أمامنا شوط كبير في معركة الوحدة حتى نحطم جدران التجزئة التي اصطنعت في الوطن العربي الواحد ونقضي على التبعض الاقتصادي والتفكك السياسي والتوزع الثقافي والانغلاق الاجتماعي الذي نشأ عنها . ولا زلنا بحاجة لمزيد من الأعداد حتى نقضي على الاغتصاب الصهيوني المتمثل ((بإسرائيل)) .. ولا زال أمامنا معارك عديدة للمحافظة على حيادنا في الصراع العالمي الناشب في العالم عامة وفي الوطن العربي بشكل خاص..

إن الدعوى الكبرى التي امتلكتها معركتنا القومية السياسية بقيام النواة الأولى للوحدة العربية كما من شأنها أن تدفع النضال العربي خطوات واسعة في طريق النصر، كذلك هي تطالبه بمزيد من الوعي ومزيد من التنظيم ومزيد من العمل المخلص.

ونحن في هذه المرحلة الأولى من مراحل الوحدة ، نمر كذلك في المراحل الأولى من تجربة النهوض الاقتصادي الاجتماعي الشامل، وإذا كانت معركتنا القومية السياسية تطالبنا بمزيد من الوعي السياسي الهادف ، فإنما تطالبنا معركة النهوض القومي الاجتماعي بقدر أكبر من الوعي القومي المخلص ، الوعي الإيجابي البناء الذي يتفهم طبيعة الظرف ويقدر مقتضيات المرحلة ، فنحن اليوم نمر في مرحلة انتقال من مجتمع زراعي متخلف إلى مجتمع النهضة والتصنيع ، ومن مجتمع المفاهيم البالية والتقاليد الجامدة إلى المجتمع القومي التقدمي . وكل مرحلة انتقال تحتاج دوماً لقدر كبير من التضحيات ، للصبر الواعي ، للعمل المنتج ، للتعاون البناء . لا يمكن للانقلاب القومي الاجتماعي الاقتصادي أن يتم إلا إذا تخطى الكثيرون عن الارتباطات التي تعمقت في وضع التجزئة الشاذ.

فهذه الوحدة العربية المصغرة بكونها أول ثورة عملية على واقع التجزئة ، وبكل ملامحها وصفاتها ، إنما أصبحت تمثل حركة تقدمية تشق طريقها في قلب المجتمع العربي ومن الطبيعي أن تحاربها كل عناصر الحركة الرجعية في هذا المجتمع ، وكل من يرتبط بهذه الحركة الرجعية التي تحاول الحفاظ على الواقع العربي على حاله . لذلك كانت معركتنا اليوم معركة قومية عقائدية شاملة ، معركة سياسية ومعركة فكرية ومعركة اقتصادية اجتماعية ، معركة نضال ومعركة نظم ومعركة مفاهيم وأفكار. إن الوحدة العربية المصغرة التقدمية كما تعمل لتبني المستقبل العربي المشرق للأجيال العربية القادمة، كذلك هي تطالب الجيل العربي الحاضر ببعض التضحيات وبتفهم واع لمستلزمات هذا الانقلاب القومي .

إن الانقلاب الاقتصادي لا يمكن أن يتم في شهر أو اثنين، أو سنة أو سنتين ، ولا يمكن أن يتم إذا بقي كل مواطن متمسكاً بوضعه وامتيازاته، والانقلاب الاجتماعي ليس عملية بسيطة آلية، إنه خلق جديد يتناول المجتمع العربي بكافة مفاهيمه ومعتقداته ومؤسساته، والمواطن العربي بكل تكوينه العقلي والنفسي والأخلاقي . الانقلاب القومي الشامل هو أسلوب جديد في الحياة ، طريقة جديدة في التفكير، نهج جديد في العلاقات ، ومثل هذا الانقلاب كما يحتاج لتضحيات وعمل ، كذلك هو يحتاج لبعض الزمن ، ولكنه إن كان يطالب الشعب في الحاضر ببعض التنازلات والتضحيات أو كثير منها ، وإن كان يطالب بمزيد من العمل والجهد ، وإن بدا للبعض أن يأخذ بعض الزمن ، فإنما لأنه سيعطي المستقبل ، سيعطي الحياة العربية الجديدة ، ولا يمكن للمستقبل أن ينمو ويتكامل إلا إذا أخذ من الحاضر.

لذلك كنا في هذه الفترة مطالبين بالتفهم العلمي المخلص لطبيعة المرحلة التي نمر بها والمرحلة التي ننتقل إليها، مطالبين بالوعي القومي الإيجابي البناء الذي يبتعد عن النقد الهدام والنزعات السلبية ، في سبيل مصلحة مجموع الشعب العربي ، في سبيل مصير الأمة ، لا مجال للمصالح الفردية الخاصة والارتباطات الشخصية .

إن هذه النواة الأولى للوحدة هي أمل العرب الأكبر هي دولة كل عربي يتطلع من سجن التجزئة إلى إشراق حرية الوحدة ، من واقع الذل والضعف إلى حياة الكرامة والقوة ، من حاضر الفقر والجهل والاستغلال إلى حياة التقدم والعدالة والمساواة.

إنها مسؤولية الشعب العربي بأسره

شباط ١٩٥٩

حركة القوميين العرب